المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق
( مصر صفر سنة ١٣٢٥ — آخره السبت ١٣ ابريل ( نيسان ) سنة ١٩٠٧ )

## باب تفسير القرآن الحكيم

( مقتبس من الدروس [illegible] )

( ٢٢ : ٢١ ) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٢:٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ( ٢٤ : ٣٢ ) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ *

كان سابق الكلام في تقرير التوحيد وإقامة الدلائل عليه وعلى الحشر وبيان ثواب العاملين ، وقيام الحجة على المعاندين ، لأن البلاغ قد أوضح الحجة للناس فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فحسابهم على الله تعالى . ثم تلاه ذكر أشدهم كان من أهل الكتاب الذين تولوا عن الدعوة من قبل إذ كانوا يقتلون الأنبياء والآمرين بالقسط وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يحزنه إعراضهم .

ولذلك التفت الى خطابه بأعجب شأنهم في الدين لذلك العهد فقال ( ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ) أخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر عن عكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد : على أيّ دين أنت يا محمد ؟ قال « على ملة ابراهيم ودينه » قالا فان ابراهيم كان يهودياً فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم « فهلما الى التوراة فهي بيننا وبينكم » فأنزل الله ( ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ) الى قوله — يفترون — . ذكر هذا التخريج السيوطي في لباب النقول وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره · فكتاب الله الذي يدعون اليه هو التوراة على هذا الوجه · قال ابن جرير وقيل بل ذلك كتاب الله الذي أنزله على محمد وانما دعيت طائفة منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم بالحق فأبت · روى ذلك عن قتادة وابن جريج ورجح الأول ومعناه ألم تر يا محمد الى هؤلاء الذين [illegible] بكتابهم [illegible] وضوح ما جئت به كيف يعرضون عن [illegible] الكتاب الذي يؤمنون به اذا لم يوافق أهواءهم · ووقائع الاحوال في عصر التنزيل تتفق مع كل من القولين فقد كانوا يتولون عن حكم التوراة اذا خالف أهواءهم كما يفعل أهل كل دين في طور انحلال الدين وضعفه وكانوا ربما تحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم عازمين على قبول حكمه حتى اذا كان على غير ما أحبوا خالفوه كما فعلوا يوم زنا بعض أشرافهم وحكموه فحكم بينهم بمثل حكم كتابهم فتولوا وأعرضوا عن قبول حكمه لأنهم انما فزعوا اليه ليخفف عنهم

أما قوله « أوتوا نصيباً » فقد علم ماهو تفسيره المختار عندنا فيما تقدم أول السورة من تفسير التوراة والانجيل وقال الاستاذ الامام في تفسير هذه الآية انه مبين لقوله تعالى ( أوتوا الكتاب ) وهو بمعنى ( لايعلمون الكتاب الا أمانيّ ) فالنصيب عبارة عن تمسكهم بالالفاظ بتعظيمها وتعظيم ماتكتب فيه مع عدم العناية بالمعاني بفقهها والعمل بها ·

قال: وذلك أن نقول أن ما يحفظونه من الكتاب هو جزء من الكتاب الذي أوحاه الله اليهم ( أو قال الكتب ) وقد فقدوا سائره وهم مع ذلك لا يقيمونه بحسن الفهم له والتزام العمل به. ولا غرابة في فقد بعض الكتاب فالكتب الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام التي يسمونها التوراة لا دليل على انه هو الذي كتبها ولا هي محفوظة عنه بل قام الدليل عند الباحثين من الاوربيين على انها كتبت بعده بمئات من السنين ( أراه قال خمس مئة سنة ) وكذلك يقال في سائر الكتب المنسوبة الى الأنبياء في المجموع الذي يسمونه ( الكتاب المقدس ) أقول ولا نعرف اللغة التي كتبت بها التوراة أول مرة ولا دليل على أن موسى عليه السلام كان يعرف اللغة العبرانية وانما كانت لغته مصرية فأين هي التوراة التي كتبها بتلك اللغة ومن ترجمها عنها

أما قوله تعالى ( ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ) فالتراخي فيه وجهان (أحدهما) استبعاد توليهم لأنه خلاف الأصل الذي يكون عليه المؤمن ( ثانيا ) أنهم اذا دعوا الى حكم الكتاب يتولى ذلك الفريق بعد تردد وتروّ في القبول وعدمه وكان من مقتضى الايمان أن لا يتردد المؤمن في إجابة الدعوة الى حكم كتابه الذي هو أصل دينه [illegible] على أنهم لم يكتفوا بالتردد حتى تولوا بالفعل ولم يكن التولي عرضا حدث لهم بعد أن كانوا مقبلين على الكتاب خاضعين لحكمه في كل حال وآن بل هو وصف لهم لازم بل اللازم لهم ما هو شر منه وهو الاعراض عن كتاب الله في عامة أحوالهم. فجملة وهم معرضون ليست مؤكدة للتولي كما قيل بل هي مؤسسة لوصف الاعراض الذي هو أبلغ منه. وإنما قال « فريق منهم » لأن هذا الوصف ليس عاما لكل فرد منهم بل كان منهم أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ومنهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم.

أقول وهذا مما هدانا الى أسلوب القرآن من تحديد الحقائق والاحتراس في الحكم على الأمم فتارة يحكم على فريق منهم في مقام بيان شؤونهم وتارة يحكم على أكثرهم واذا أطلق الحكم في بعض الآيات يتبعه بالاستثناء — استثناء الأقل كقوله ( تولوا الا قليلا منهم) ( ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات ) روى ابن جرير وغيره من المفسرين ان بعض اليهود قالوا ذلك وان هذه الأيام المعدودات

هي أربعون يوماً مدة عبادتهم العجل وقال الاستاذ الامام: انه لم يثبت في عدد هذه الايام شيء · وليس في كتب اليهود التي في أيديهم وعد بالآخرة ولا وعيد فكل ماوعدت به على العمل بالكتاب هو الخير والخصب والسلطة في الارض وما أوعدت به هو سلب هذه النعم وتسليط الأمم عليهم ولكن الاسلام بين لنا أن كل نبي أمر بالايمان باليوم الآخر ووعد وأوعد فهذا هو الحق سواء أوجد في كتبهم أم لم يوجد يعني أننا نعد هذا مما أضاعوه ونسوه على ما بينا في تفسير التوراة والانجيل قال والجملة عبارة عن استسهال العقوبة والاستخفاف بها اتكالا على اتصال نسبهم بالأنبياء واعتمادا على مجرد الانتساب الى الدين وكانوا يعتقدون ان ذلك كاف في نجاتهم، ومن استخف بوعيد الدين زاعماً انه خفيف في نفسه أو أنه غير واقع بمن يستحقه تزول حرمة الأوامر والنواهي من نفسه فيقدم على ارتكاب المحارم بلا مبالاة ويتهاون في الطاعات المحتمة وهكذا شأن الأمم عند ما تفسق عن دينها وتنتهك حرماته ظهر في اليهود ثم في النصارى ثم في المسلمين.



وأقول لعل المراد بعبارة الاستاذ انهم كانوا يعتقدون أن الاسرائيلي اذا عوقب فإن عقوبته لا تكون إلا قليلة كما هو اعتقاد أكثر المسلمين اليوم اذ يقولون ان المسلم المرتكب لكبائر الاثم والفواحش إما أن تدركه الشفاعات، وإما تمحوه الكفارات، واما ان يمنح العفو والمغفرة بمحض الفضل والاحسان، فان فاته كل ذلك عذب على قدر خطيئته ثم يخرج من النار ويدخل الجنة · واما المنتسبون الى سائر الأديان فهم خالدون في النار كيفما كانت حالهم ومهما كانت أعمالهم · والقرآن لا يقيم للانتساب الى دين ما وزنا وإنما يَنوط أمر النجاة من النار، والفوز بالنعيم الدائم في دار القرار، بالايمان الذي وصفه وذكر علامات أهله وصفاتهم وبالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة مع التقوى وترك الفواحش ماظهر منها وما بطن · وأما المغفرة فهي خاصة في حكم القرآن بمن لم تحط به خطيئته وأما من أحاطت به حتى استغرقت شعوره ورانت على قلبه فصار همه محصورا في إرضاء شهوته ولم يبق للدين سلطان على نفسه فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون · هذا يحكم هذا الكتاب الحكيم بأن من يجعل الدين جنسية ويَنوط النجاة من النار بالانتساب اليه أو الاتكال

على من أقامه من السلف فهو مغترّ بالوهم ، مفتر يقول على الله بغير علم ، كما قال هنا ﴿ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ أي بما زعموا من تحديد مدة العقوبة بالأيام القليلة أو بمجموعها وهذا من الافتراء الذي كان منشأ غرورهم في دينهم ومثله لا يعرف بالرأي ولا بالفكر لأنه من أمر عالم الغيب فلا يعرف الا بوحي من الله وليس في الوحي ما يؤيده ، ولا يوثق به الا بعهد منه عز وجل ولا عهد بهذا وانما عهد الله هو ما سبق في سورة البقرة (٢: ٨٠ وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودة ، قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون ٨١ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ٨٢ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون )

ثم توعدهم تعالى على هذا الافتراء بقوله ﴿ فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ﴾ أي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم للجزاء في يوم لا ريب في مجيئه وهو يوم الدين ﴿ ووفيت كل نفس ما كسبت ﴾ أي رأت ما عملته محضرا موفى لا نقص فيه ، فكان منشأ الجزاء بحسب الصفات الحسنة أو القبيحة لا الانتماء الى دين كذا ومذهب كذا ، أو الانتساب الى فلان وفلان من النبيين والصالحين ؟ ألا إنهم يرون يومئذ أن الجزاء يكون بشيء من داخل نفوسهم لا من شيء خارج عنها ، يكون ما أحدثته أعمالهم فيها من الصفات الحسنة أو القبيحة ومقدرة بقدر ذلك ، ويرون أن الناس سواء في هذا الجزاء لا امتياز فيه بين الشعوب وان سمي بعضها بشعب الله ، ولا بين الأفراد وان لقبوا أنفسهم بأبناء الله ، بل يرون هنالك العدل الأكمل ولذلك قال ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ أي الناس المشار اليهم بلفظ « كل نفس » أي لا ينقص من جزاء أحد بما كسب شيء وان كان مثقال ذرة

وقد قال المفسرون في هذه الجملة كلمة أحب التنبيه على ما فيها . قالوا فيها دليل على أن العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لأن توفية جزاء إيمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها . والعبارة للبيضاوي ونقلها أبو السعود كعادته . وأقول ان الكسب هنا ليس خاصاً بالعبادة والايمان بل هو عام شامل لكل ما عمله العبد من خير وشر فاذا أرادوا أن الآية

تدل على انه لابد من الجزاء على كسب كما هو ظاهر الآية لزمهم أن الكافر اذا أحسن في بعض الأعمال — ولا يوجد أحد من البشر لايحسن عملا قط — وجب أن يجازى عليه وهم لايقولون بذلك ولذلك خصصوا وأخرجوا الآية عن ظاهرها. واذا نحن جمعنا بين هذه الآية التي وردت رداً لقول الذين زعموا أنهم لاتمسهم النار الا أياما معدودة وآية البقرة التي وردت في ذلك أيضاً علمنا مراد الله في الجزاء على كسب الانسان بحسبه وهو أن العبرة بتأثير العمل في النفس فاذا كان أثره السيء قد أحاط بعلمها وشعورها واستغرق وجدانها كانت خالدة في النار لأن العمل السيء لم يدع للعمل أثرا صالحاً فيها يعدها لدار الكرامة بل جعلها من أهل دار الهوان بطبعها . واذا لم يصل الى هذه الدرجة بأن غلب عليها تأثير العمل الصالح أو استوى الأمران فكانت هكذا وهكذا جوزيت على كل بحسب درجته كما قررناه آنفاً وليس عندنا شيء عن الاستاذ الامام في هذه الآية ولكن ما قلناه موافق لما قررناه في سورة البقرة



(٢٥ : ٢٦) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • (٢٦ : ٢٧) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ •

روي عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فنزل قوله تعالى ( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ) وقال الاستاذ الامام ما معناه: ان الكلام متصل بما قبله صح ما قيل في سبب النزول أم لم يصح والكلام في حال النبي صلى الله عليه وسلم مع من خوطبوا بالدعوة من المشركين وأهل الكتاب فالمشركون كانوا ينكرون النبوة لرجل يأكل الطعام ويمشي في الاسواق كما أنكر أمثالهم على الانبياء قبله . وأهل الكتاب

كانوا ينكرون أن يكون نبي من غير آل اسرائيل وقد عهد في غير موضع من القرآن تسلية النبي صلى الله عليه وسلم في مقام بيان عناد المنكرين ومكابرة الجاحدين وتذكيره بقدرته تعالى على نصره وإعلاء كلمة دينه فهذه الآية من هذا القبيل . كأنه يقول له : اذا تولى هؤلاء الجاحدون عن بيانك ، ولم ينظروا في برهانك ، وظل المشركون منهم على جهلهم ، وأهل الكتاب في غرورهم ، فعليك أن تلجأ الى الله تعالى وترجع اليه بالدعاء والثناء ، وتتذكر أنه بيده الأمر يفعل مايشاء ، وهذا يناسب ماتقدم في الرد على نصارى نجران من أمره بالالتجاء اليه سبحانه بقوله « فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله »

قال : وعلى هذا التفسير يصح أن يكون الملك بمعنى النبوة أو لازمها . ولاشك أن النبوة ملك كبير لأن سلطانها على الاجساد والأرواح ، على الظاهر والباطن قال تعالى : فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ) فاذلم يكن هذا الملك عين النبوة فهو لازمها ونزع الملك على هذا القول عبارة عن نزعه من الأمة التي كان يبعث فيها الأنبياء كأمة اسرائيل فقد نزعت منها النبوة ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن أن يفسر النزع هنا بالحرمان فانه تعالى يعطي النبوة من يشاء ويحرم منها من يشاء . فان قيل إن النزع إنما يكون لشيء قد وجد صح أن يجاب عنه بأن هذا على حد قوله تعالى حكاية عن لسان الرسل (٧ : ٨٩ قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ) فانهم لم يكونوا في ملتهم اذ يستحيل الكفر على الانبياء : هذا سياقه وقد تبع فيه الامام الرازي الا انه زاد عليه كلمة « أو لازمها » والتمثيل غير ظاهر على المعنى الثاني والآية حكاية عن شعيب عليه السلام وهي جواب عن قول قومه ( ٨٨ لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ) فهم قد طلبوا منه وممن آمن معه أن يعودوا في ملتهم وكان أولئك المؤمنون في ملتهم ففي جوابه عليه السلام تغليب للأكثر وهو متعين . ومثل الرازي أيضاً بقوله تعالى ( ٢ : ٢٥٧ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ) وفيه مافيه .

أقول والظاهر المتبادر ان المراد بالملك السلطة والتصرف في الأمور والله

سبحانه وتعالى صاحب السلطان الأعلى والتصرف المطلق في تدبير الأمر وإقامة ميزان النظام العام في الكائنات فهو يؤتي الملك في بعض البلاد من يشاء من عباده إما بالتبع لما يختصهم به من النبوة كما وقع لآل إبراهيم وإما بسيرهم على سننه الحكيمة الموصلة الى ذلك بأسبابه الاجتماعية كتكوين العصبيات كما وقع لكثير من الناس وينزعه ممن يشاء من الأفراد ومن الأسر والعشائر والقبائل والشعوب بتنكيبهم سننه الحافظة للملك كالعدل وحسن السياسة وإعداد المستطاع من القوة كما نزعه من بني اسرائيل ومن غيرهم بالظلم والفساد . ذلك أننا لا نعرف ما قضت به مشيئته عز وجل إلا من الواقع لأنه لا يقع في الوجود الا ما يشاء وقد نظرنا فيما وقع للغابرين والحاضرين ومحصنا أسبابه فألفيناها ترجع الى سنن مطردة كما قال في هذه السورة ( ٣ : ١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا ) الآية وبين بعض هذه السنن في نزع الملك ممن يشاء وإيتائه من يشاء بمثل قوله تعالى من سورة ابراهيم ( ١٤ : ١٣ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ١٤ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ) وقد فصلنا هذا المعنى في تفسير سورة البقرة أنظر تفصيل فليراجع الآية ٢٤٧ من شاء وبهذا يظهر وجه اتصال الآية بما قبلها وكونها بمثابة الدليل لقوله السابق ( قل للذين كفروا ستغلبون ) فهي تتضمن تأكيد الوعد بنصر النبي صلى الله عليه وسلم وغلب أعدائه من أهل الكتاب والمشركين وقد قال أبو سفيان للعباس يوم رأى جيش المسلمين زاحفاً الى مكة : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما : فقال العباس رضي الله عنه كلا انها النبوة وكان أبو سفيان يعني ان الأمر كله تأسيس ملك وما كان الملك مقصوداً ولكنه جاء معناه والمراد منه تابعاً لا أصلا والفرق عظيم والغرض من النبوة غير الغرض من الملك ولذلك لم يسمّ الصحابة من جعلوه رئيس ملكهم ومرجع سياستهم ملكا بل سموه خليفة

﴿ وتعز من تشاء وتذل من تشاء ﴾ العز والذل معروفان ومن آثار الأول حماية الحقيقة ونفاذ الكلمة ومن أسبابه كثرة الأعوان وملك القلوب بالجاه والعلم النافع للناس وسعة الرزق مع التوفيق للاحسان ، ومن آثار الثاني الضعف عن الحماية ،

والرضى بالضيم والمهانة ، كما قال الاستاذ الامام . وقد يكون الضعف سبباً وعلة للذل لا أثراً معلولا وهو الغالب ، ولا تلازم بين العز والملك فقد يكون الملك ذليلا اذا ضعف استقلاله بسوء السياسة وفساد التدبير حتى صارت الدول الأخرى تفتات عليه كما هو مشاهد . وكم من ذليل في مظهر عزيز وكم من أمير وملك يغر الأغرار ما يرونه فيه من الأبهة والفخفخة فيحسبون انه عزيز كريم وهو في نفسه ذليل مهين فمثله كمثل ملوك ملاهي التمثيل ( التياترات ) كما قال الاستاذ الامام

هذا ولا عز أعلى من عز الاجتماع والتعاون على نشر دعوة الحق ومقاومة الباطل اذا اتبع المجتمعون سنة الله تعالى فأعدوا لكل أمر عدته . وقد كان المشركون في مكة واليهود ومنافقو العرب في المدينة يعترون بكثرتهم على النبي والمؤمنين ( ٦٣ : ٨ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ؛ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ) فعسى أن يعتبر المسلمون في هذا الزمان بهذا ويفقهوا معنى كون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ويحاسبوا أنفسهم وينصفوا منها [illegible] الذي جعل الله لصاحبه العزة ( ٤٧ : ٢٤ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها )

( بيدك الخير ) قال الاستاذ الامام ترك المفسر ( الجلال ) هنا كلمة « والشر » هربا من المعتزلة على أنه ليس في العبارة نفي لكون الشر بيده كما انه ليس فيها إثبات له فلا معنى لتصادم المذاهب فيها وحسبنا قوله ( انك على كل شيء قدير ) أي في اثبات أن كل شيء بيده لا يعجزه شيء . والبلاغة قاضية بذكر الخير فقط سواء كان السبب في نزول الآية خاصاً وهو ما كان في واقعة الخندق من بشارته (ص) أن ملك امته سيبلغ كذا وكذا أو عاماً وهو حال النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين فانه ما أغرى أولئك الجاحدين بانكار النبوة والاستهانة بدعوة الحق الا فقر الداعي وضعف من اتبعه من المسلمين وقلتهم فأمره الله تعالى ان يلجأ هو ومن اتبعه الى مالك الملك والمتصرف المطلق التصرف في الاعزاز والاذلال وذكر في هذا المقام بأن الخير كله بيده فلا يعجزه أن يؤتي نبيه والمؤمنين من السيادة والسلطان ما وعدهم وان يعزهم ويعطيهم من الخير ما لا يخطر ببال الذين يستضعفونهم

(٢٨: ٥ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)
على هذا الاصل أمر الله نبيه بأن يدعوه — والمؤمنون تبع له — بهذه الكلمات ويلجؤا اليه بهذه الرغبة فكان المناسب ذكر الخير الذي وعدوا به فقط وانه بيده وحده

وأقول انه لا يسند الى يده تعالى أو يديه الا النعم الجليلة والمخلوقات الشريفة فلا يقال ان الشر بيد الله تعالى على أن جميع ماخلقه الله تعالى ودبره هو خير في نفسه والشر أمر عارض من الأمور الاضافية فلا توجد حقيقة هي شر في ذاتها وانما يطلق لفظ الشر على مايأتي غير ملائم للاحياء ذات الادراك ولا منطبق على مصالحهم ومنافعهم وسبب ذلك في الغالب سوء عملهم الاختياري ومن غير الغالب أن تقوض الريح لهم بناء أو يجرف السيل لهم رزقا وكل من الريح والسيل من أعظم الخيرات في ذاتها · ومن الخير والنعم ماقدرته السنن الالهية وأخبر به الوحي من ترتيب العقاب على العمل السيء فان ذلك أعظم مرب للناس وعون لهم على الارتقاء في الدنيا والسعادة في الآخرة ومن تدبر سورة الرحمن فقه مانقول · وللامام ابن القيم كلام في بحث المسألة لا يحل بيراده هنا قال في كتاب (شرح منازل السائرين) ، ونقله السفاريني في شرح عقيدته ما نصه

« ان الشر كله يرجع الى العدم أعني عدم الخير وأسبابه المفضية اليه وهو من هذه الجهة شر وأما من جهة وجوده المحض فلا شر فيه مثاله ان النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة وانما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها فانها خلقت في الأصل متحركة لا تسكن فان أعينت بالعلم والهام الخير تحركت بطبعها الى خلافه وحركتها من حيث هي حركة خير وانما تكون شرا بالاضافة لا من حيث هي حركة والشر كله ظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه فلو وضع في موضعه لم يكن شرا فعلم ان جهة الشر فيه نسبة اضافية ولهذا كانت العقوبات الموضوعة في محالها خيرا في نفسها وان كانت شرا بالنسبة الى المحل الذي حلت به لما أحدثت فيه من الالم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة مستعدة له فصار ذلك الألم شرا بالنسبة اليها وهو خير بالنسبة الى الفاعل حيث وضعه موضعه فانه سبحانه لا يخلق شرا محضا من جميع الوجوه والاعتبارات فان حكمته تأبى ذلك بل قد يكون

ذلك المخلوق شرا ومفسدة ببعض الاعتبارات وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات أخر أرجح من اعتبارات مفاسده بل الواقع منحصر في ذلك فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله أن يريد شيئا يكون فسادا من كل وجه وبكل اعتبار لا مصلحة في خلقه بوجه ما ، هذا من أبين المحال فانه سبحانه بيده الخير والشر ليس اليه بل كل ما اليه فخير والشر انما حصل لعدم هذه الاضافة والنسبة اليه فلو كان اليه لم يكن شرا فتأمله فانقطاع نسبته اليه هو الذي صيره شرا

« فان قلت لم تنقطع نسبته اليه خلقا ومشيئة قلت هو من هذه الجهة ليس بشر والشر الذي فيه من عدم امداده بالخير وأسبابه والعدم ليس بشيء حتى ينسب الى من بيده الخير فان أردت مزيد ايضاح في ذلك فاعلم ان أسباب الخير ثلاثة الايجاد والاعداد والامداد فهذه هي الخيرات وأسبابها فايجاد هذا السبب خير وهو الى الله واعداده خير وهو اليه أيضا فاذا لم يحدث له اعدادا ولا امدادا حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس الى الفاعل وانما اليه ضده فان قلت فهلا أمده اذ أوجده قلت ما اقتضت الحكمة ايجاده وامداده فانه سبحانه يوجده ويمده وما اقتضت الحكمة ايجاده وترك امداده أوجده بحكمته ولم يمده بحكمته فايجاده خير والشر وقع من عدم امداده



« فان قلت فهلا أمد الموجودات كلها فالجواب هذا سؤال فاسد يظن مورده ان تساوي الموجودات أبلغ في الحكمة وهذا عين الجهل بل الحكمة كل الحكمة في هذا التفاوت العظيم الواقع بينها وليس في خلق كل نوع منها تفاوت فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت والتفاوت انما وقع بأمور عدمية لم يتعلق بها الخلق والا فليس في الخلق من تفاوت (قال رحمه الله تعالى) فان اعتاص ذلك عليك ولم تفهمه حق الفهم فراجع قول القائل

اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

« تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل » أي تدخل طائفة من الليل في النهار فيقصر الليل من حيث يطول النهار ، وتدخل طائفة من النهار في الليل فيطول هذا من حيث يقصر ذلك – أي انك بحكمتك في تدبير الارض وتكويرها وجعل

الشمس بحسبان تزيد في أحد الجديدين مايكون سببا لنقص الآخر فلا ينكر على قدرتك وحكمتك أن تؤتي النبوة والملك من تشاء كمحمد وأمته وتنزعها ممن تشاء كبني إسرائيل فانك تتصرف في شؤون الناس كما تتصرف في الليل والنهار ﴿ وتخرج الحي من الميت ﴾ كالعالم من الجاهل والصالح من الطالح والمؤمن من الكافر ﴿ وتخرج الميت من الحي ﴾ كالكافر من المؤمن والجاهل من العالم والشرير من الخير وقد مثل المفسرون للحياة الحسية بخروج النخلة من النواة والعكس وخروج الانسان من النطفة والطائر ونحوه من البيضة و بالعكس والتمثيل صحيح وان أثبت علماء هذا الشأن ان في النطفة حياة وكذا في البيضة والنواة لأن هذه الحياة اصطلاحية لأهل الفن في عرفهم دون العرف العام الذي جاء التنزيل به. ومن الأمثلة الصحيحة خروج النبات من التراب · وقد جاء القرآن بتسمية مايقابل الحي ميتاً سواء كانت الحياة حسية أومعنوية وسواء كان ما أطلق عليه لفظ الميت مما يعيش ويحيا مثله أم لا وهو استعمال عربي صحيح فصيح [illegible] مثال ظاهر لكونه تعالى مالك الملك يؤتي الملك [illegible] الآية السابقة [illegible] عنده بمقدار فقد أخرج من العرب الأميين [illegible] كالخارج من سلائل الانبياء والصديقين ، أولئك الاشرار المفسدين ، ذلك ان سنته تعالى في الاجتماع قد أعدت الامة العربية لأن يظهر خاتم النبيين منها — أعدتها لذلك بارتقاء الفكر واستقلاله وبقوة الارادة واستقلالها حتى صارت هذه الأمة أقوى أمم الارض استعداداً لقبول الدين الذي هدم بناء التقليد والاستعباد واستبدل به بناء الاستدلال والاستقلال ، من حيث كان بنو إسرائيل كغيرهم من الأمم يرسفون في قيود التقليد للأحبار والرهبان ، مرتكسين في أغلال الاستبداد من الملوك والحكام ، فما أعطى سبحانه ما أعطى ونزع ما نزع الا باقامة السنن التي هي قوام النظام ومناط الابداع والاحكام ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ يطلب منه ، لان الامر كله بيده ، وليس فوقه أحد يحاسبه ، أو بغير تضييق ولا تقتير ، أو بغير حساب من هذا المرزوق ولا تقدير ، ولكنه بقدر وحساب ، ممن وضع السنن والأسباب ،

( ٢٨ : ٢٧ ) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ( ٢٩ : ٢٨ ) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ، وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ( ٣٠ : ٢٩ ) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ

قال الاستاذ الامام ما مثاله : جاء قوله تعالى ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ) بعد تلك الآية التي لقن فيها النبي والمؤمنين الى الالتجاء اليه معترفين ان بيده الملك والعز ومجامع الخير والسلطان المطلق في تصريف الكون يعطي من يشاء ويمنع من يشاء فاذا كانت العزة والقوة لمن هذا شأنه فمن الجهل والغرور أن يعتز بغيره من دونه وأن يلتجأ الى غيره او يدخل المؤمن في غير بابه وقد قضت السير بأن بعض الذين كانوا يدخلون في الاسلام كان يقع منهم قبل الاطمئنان بالايمان اغترار بعزة الكافرين وقوتهم وشوكتهم فيوالونهم ويركنون اليهم وهذا أمر طبيعي في البشر

قال وذكروا في سبب نزول الآية انها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وقصته معروفة وقيل انها نزلت في ابن أبي سلول ( زعيم المنافقين ) وقيل في جماعة من الصحابة كانوا يوالون بعض اليهود ومهما كان السبب في نزولها فانا نعلم ان من طبيعة الاجتماع في كل دعوة أن يوجد في المستجيبين لها القوي والضعيف على أن مظاهر القوة والعزة تغر بعض الصادقين وتؤثر في نفوس بعض المخلصين فما بالك بغيرهم ولذلك نهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ الأولياء من الكافرين - وقد ورد بمعنى هذه الآية آيات أخرى فلا بد من تفسيرها تفسيرا تتفق به معانيها

أقول قصة حاطب التي أشار اليها في الصحيحين وغيرهما وملخصها أن حاطبا

كتب كتابا لقريش يخبرهم فيه باستعداد النبي صلى الله عليه وسلم الزحف على مكة اذ كان يتجهز لفتحها وكان يكتم ذلك ليبغت قريشاً على غير استعداد منها فتضطر الى قبول الصلح وما كان يريد حرباً ) ـ وأرسل حاطب كتابه مع جارية وضعته في عقاص شعرها فأعلم الله نبيه بذلك فأرسل في أثرها علياً والزبير والمقداد وقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها » فلما أتي به قال « ياحاطب ماهذا » فقال يارسول الله لا تعجل علي اني كنت حليفاً لقريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام : فقال عليه الصلاة والسلام « أما انه قد صدقكم » واستأذن عمر النبي (ص) في قتله فلم يأذن له قالوا وفي ذلك نزل قوله تعالى ( ٦٠ : ١ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم » الخ ولم أجد فيما قاله ... آيات في قصة حاطب فلعل ماقاله الاستاذ الامام سهو سببه أن هذه الآية وما نزل في قصة حاطب يشتركان في النهي عن موالاة الكافرين (*) وما نزل في قصة حاطب وهو معظم سورة الممتحنة يفسر لنا أو يفصل جميع الآيات التي وردت في النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء لأن مافي سورة الممتحنة مفصل وهو من آخرها أو آخرها نزولا وماعداه مجمل يبينه المفصل

يزعم الذين يقولون في الدين بغير علم ، و يفسرون القرآن بالهوى في الرأي ، أن آية آل عمران ومافي معناها من النهي العام أو الخاص كقوله تعالى ( ٥ : ٥ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ) يدل على أنه لا يجوز للمسلمين أن يحالفوا أو يتفقوا مع غيرهم ، وان كان الحلاف أو الاتفاق لمصلحتهم ، وفاتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان محالفا لخزاعة وهم على شركهم ، بل يزعم بعض

(*) كنا نراجع الامام في حياته عند ماننكتب فيعرض لنا في المذكرات التي أخذناها من دروسه مثل هذا السهو ونثبت مايقول من غير تنبيه في الغالب

المتحمسين في الدين على جهل أنه لا يجوز للمسلم أن يحسن معاملة غير المسلم أو معاشرته أو يثق به في أمر من الأمور وقد جاءتنا ونحن نكتب في هذه المسألة إحدى الصحف فرأينا في أخبارها البرقية ان الافغانيين المتحمسين ساخطون على أميرهم أن عاشر الانكليز في الهند وواكلهم ولبس زي الافرنج وأنهم عقدوا اجتماعا حكموا فيه بكفره ووجوب خلعه من الامارة فأرسلت الجنود لتفريق شملهم . فأمثال هؤلاء المتحمسين الجاهلين اضر الخلق بالاسلام والمسلمين ، بل أبعد عن حقيقته من سائر العالمين ، وماذا فهم أمثال أولئك الافغانيين من القرآن على عجمتهم وجهلهم بأساليبه وبعمل الصدر الاول به

قال الاستاذ الامام في تفسير الآية ما مثاله مبسوطا الاولياء الانصار والاتخاذ يفيد معنى الاصطناع وهو عبارة عن مكاشفتهم بالاسرار الخاصة بمصلحة الدين وقوله « من دون المؤمنين » قيد في الاتخاذ ، أي لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وانصارا في شيء تقدم فيه مصلحتهم على مصلحة المؤمنين أي كما فعل حاطب بن بلتعة (رضي الله عنه) لأن في هذا اختيارا لهم وتفضيلا على المؤمنين بل فيه إعانة للكفر على الايمان وهو بعيد عن الايمان ومن كان كذلك لا يصدر من مؤمن ولو كان فيه مصلحة خاصة لولا ان عمر رضي الله عنه همّ بقتل حاطب وسماه منافقا لولا أن نهاه صلى الله عليه وسلم عن ذلك أو ذكره بأنه من أهل بدر . اقول واذا كان الشارع لم يحكم بكفر حاطب في موالاة المشركين التي هي موضع النهي فكيف نكفر باسم الاسلام مثل امير الافغان الذي لم يفعل الا ما أباحه الله له من أكل ولباس ومجاملة لحكومة من أهل الكتاب وهم أقرب الينا من المشركين ومجاملته لها ليست موالاة لها من دون المؤمنين ( أي ضدهم كما يقول أهل العصر ) وإنما هي موالاة لمصلحتهم التي تتفق مع مصلحتها وهم أحوج اليها منها اليهم

عود الى كلام الاستاذ الامام ، وقال تعالى في آية أخرى ( ٥٨ : ٢٢ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ) الآية فالموادة مشاركة في الأعمال فان كانت في شأن من شؤون المؤمنين من حيث هم مؤمنون والكافرين من حيث هم كافرون فالممنوع منها ما يكون فيه خذلان لدينك وإيذاء لأهله أو إضاعة لمصالحهم وأما ما عدا ذلك كالتجارة وغيرها من ضروب

المعاملات الدنيوية فلا تدخل في ذلك النهي لأنها ليست معاملة في محادّة الله ورسوله أي في معاداتهما ومقاومة دينهما

أقول وإذا رجع المؤمن الى سورة الممتحنة (٦٠) التي فصلت فيها هذه المسألة مالم تفصل في غيرها يجد الآية الاولى - وقد تقدم صدرها في قصة حاطب - تقيد النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله وإلقاء المودة اليهم بكونهم كفروا كفرا حملهم على إخراج الرسول والمؤمنين من وطنهم لأنهم مؤمنون بالله فكل كافر حربي يعامل المؤمنين هذه المعاملة تحرم موالاته قطعاً ثم وصف هؤلاء الذين نهى عن موالاتهم بأنهم ان يثقفوا المؤمنين يعادوهم ويؤذوهم بأيديهم وألسنتهم ثم قال (٧عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ٩ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) فالبصير يرى ان القرآن جعل المودة بين المؤمنين وأولئك المشركين الذين آذوا الرسول ومن آمن به أشد الايذاء وأخرجوهم من بلادهم وبين هؤلاء المؤمنين مرجوة وقال انه لا ينهاهم عن البر والقسط الى من ليسوا كذلك من المشركين وهم أشد الناس عداوة للمؤمنين وابعد عنهم من أهل الكتاب ثم أكد ذلك بحصر النهي في الذين قاتلوهم في الدين أي لأنهم مسلمون وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم منها ولكنه حصر هذا النهي في توليهم ونصرهم لا في مجاملتهم وحسن معاملتهم بالبر والاحسان والعدل وهذا منتهى الحلم والسماح بل الفضل والكمال .

ولا تنس ان هذه الآيات نزلت قبل فتح مكة وكان المشركون في عنفوان طغيانهم واعتدائهم وقد عمل عليه الصلاة والسلام يوم الفتح بهذه الوصايا فعفا عن قدرة وحلم عن عزة وسلطة وقال: أنتم الطلقاء ، وأحسن الى المؤمن والكافر والبر والفاجر ومثله أهل الفضل والاحسان ولقد كان للمؤمنين فيه أسوة حسنة ولكن بعد متحسمو المسلمين اليوم من سنته ومن كتاب الله الذي أدب هو به . اللهم اهد هؤلاء المسلمين بهداية كتابك ليكونوا بحسن عملهم حجة له ، بعد ما صار اكثرهم بسوء العمل

حجة عليه ، ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ فيتخذ الكافرين أولياء وأنصاراً من دون المؤمنين فيما يخالف مصلحتهم من حيث هم مؤمنون ﴿ فليس من الله في شيء ﴾ أي فليس من ولاية الله في شيء ، قاله البيضاوي وغيره وولاية الله من استطاعته ونصر دينه ومن الله مثوبته ورضوانه . وقال الاستاذ الامام : معنى العبارة أنه يكون بينه وبين الله غاية البعد أي تنقطع صلة الايمان بينه وبين الله تعالى أي فيكون من الكافرين كما قال في آية أخرى ( ومن يتولهم منكم فانه منهم ) أو معناه فيكون عدواً لله وقد صرح بذلك ﴿ الا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ (١) استثناء من أعم الاحوال أي اتركوا موالاة الكافرين على المؤمنين حتم في كل حال الا في حال الخوف من شيء تتقونه منهم فلكم حينئذ أن توالوهم بقدر ما يتقى به ذلك الشيء . لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وهذه الموالاة تكون صورية لأنها للمؤمنين لا عليهم والظاهر أن الاستثناء منقطع والمعنى ليس لكم ان توالوهم على المؤمنين ولكن لكم ان تتقوا ضررهم بموالاتهم . وإذا جاز موالاتهم لاتقاء الضرر فجوازه لأجل منفعة المسلمين يكون أولى وعلى هذا يجوز للحكام المسلمين أن يحالفوا الدول غير المسلمة لأجل فائدة المؤمنين بدفع الضرر أو جلب المنفعة وليس لهم أن يوالوهم في شيء يضر بالمسلمين وإن لم يكونوا من رعيتهم . وهذه الموالاة لا تختص بوقت الضعف بل هي جائزة في كل وقت

أقول وقد استدل بعضهم بالآية على جواز التقية وهي ما يقال أو يفعل مخالفاً للحق لأجل توقي الضرر ولهم فيها تفريعات وشروط وأحكام فقيل أنها مشروعة للمحافظة على النفس والعرض والمال وقيل لا تجوز التقية لأجل المحافظة على المال . وقيل أنها خاصة بحال الضعف وقيل بل عامة وينقل عن الخوارج أنهم منعوا التقية في الدين مطلقاً وان أكره المؤمن وخاف القتل لأن الدين لا يقدم عليه شيء . ويرد عليهم قوله تعالى ( ١٦ : ١٠٦ من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم

(١) قرأ الكسائي تقاة بالإمالة محضاً وحمزة بين التفخيم والإمالة والباقون بالتفخيم وقرأ يعقوب تقية . والتقاة مصدر كالتقوى أو اسم مصدر والتقية بتشديد الياء ما يتقى

٧٠٠ (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) فمن نطق بكلمة الكفر مكرها وقاية لنفسه من الهلاك لا شارحا بالكفر صدرا ولا مستحبا للحياة الدنيا على الآخرة لا يكون كافرا بل يعذر كما عذر عمار بن ياسر قالوا فيه نزلت هذه الآية (١٦: ١٠٦) وكما عذر الصحابي الذي قال لمسيلمة الكذاب أشهد أني رسول الله قال لمم فتركه وقتل رفيقه الذي سأله هذا السؤال فقال إني أصم ثلاثا ويتقل عن الشيعة أن التقية عندهم اصل من أصول الدين جرى عليه الأنبياء والأئمة . ويتقل عنهم في ذلك أمور متناقضة مضطربة وخرافات مستغربة وقلما يسلم نقل المخالف من الغلط لاسيما اذا كان نقله بالمعنى . وليس في تفسيرنا هذا موضع للمناقشات والجدل في مسائل الخلاف . وقصارى ماتدل عليه هذه الآية ان للمسلم ان يتقي مايتقي من مضرة الكافرين وقصارى ماتدل عليه آية سورة النحل (١٦: ١٠٦) ماتقدم آنفا ولا شيء . وكل ذلك من باب الرخص لأجل الضرورات العارضة لا من أصول الدين المتبعة دائما ولذلك كان مسائل الاجماع وجوب الهجرة على المسلم من المكان الذي يخاف فيه من اظهار دينه ويضطر فيه الى التقية ومن علامة المؤمن الكامل أن لا يخاف في الله لومة لائم قال تعالى (٥: ٤٤ فلا تخشوا الناس واخشوني) وقال (٣: ١٧٥ فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وكان النبي وأصحابه يتحملون الاذى في ذات الله ويصبرون

وأما المداراة فيما لا يهدم حقا ولا يبني باطلا فهي كياسة مستحبة يقتضيها أدب المجالسة مالم تنته الى حد النفاق ، ويستجاز فيها الدهان والاختلاق ، وتكون مؤكدة في خطاب السفهاء تصونا من سفههم ، واتقاء لفحشهم ، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا عنده فقال « بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة » ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت يارسول الله قلت ماقلت ثم ألنت له القول فقال « ياعائشة ان من أشر الناس من يتركه الناس — أو يدعه الناس — اتقاء فحشه » رواه البخاري في صحيحه وفيه من حديث أبي الدرداء « انا لنكشر في وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم » وفي رواية الكشميهني : وان قلوبنا لتقليهم ؛ أي تبغضهم . ولا يجهل أحد أن الانة القول

أو الكثير في الوجوه أي التبسم هما من أدب المجلس ينبغي بذلهما لكل جليس ولا يعدان من النفاق ولا من الدهان . ولا ينافيان أمر الله لنبيه بالاغلاظ على الكافرين لأنه ورد في مقام الأمر بالجهاد لدفع إيذائهم وحماية الدعوة وبيان حقيقتها وقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس أدبا في مجلسه وحديثه .

( ويحذركم الله نفسه ) روي عن ابن عباس ان معناه عقاب نفسه . وذكر النفس ليعلم ان الوعيد صادر منه وهو القادر على إنفاذه اذ لا يعجزه شيء وسيأتي في تفسير الجملة كلام آخر في الآية التي تلي ما بعد هذه ( والى الله المصير ) فلا مهرب منه . قالوا وفيه تهديد عظيم يشعر بتناهي المنهي عنه من الموالاة في القبح

ثم قال ( قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات والارض ) المراد بما في الصدور ما في القلوب من الانشراح والميل للكفر أو الكره له والنفور منه فهو كقوله تعالى في الآية التي ذكرت آنفا ( الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا ) الخ أي أنه سبحانه يعلم ما تنطوي عليه نفوسكم وما تختلج به قلوبكم اذ توالون الكافرين أو توادونهم أو تتقون منهم ما تتقون فان كان ذلك بميل الى الكفر جازاكم عليه وان كانت قلوبكم مطمئنة بالايمان غفر لكم ولم يؤاخذكم على عمل لا جناية فيه على دينكم ولا إيذاء لأهله فهو مجازيكم على حسب علمه المحيط بما في السموات والأرض لأنه الخالق لما في السموات والارض « ألا يعلم من خلق » وهذا كالدليل على علمه بما في صدورهم لانه عام ودليل ظاهر في النظام العام ( والله على كل شيء قدير ) فلا يمكن ان يفلت من قدرته أحد ولا أن يعجزه شيء وهذا كالشرح لقوله « ويحذركم الله نفسه »

( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ) قال الاستاذ الامام ما معناه : الكلام تتمة الوعيد من والي الكافرين ناصرا إياهم على المؤمنين - والمعنى اتقوا واحذروا أو ليحذروا يوم تجد كل نفس عملها من الخير معها قل محضرا ولا يجوز تقدير « اذكر » متعلقاً لقوله يوم تجد كما قال الجلال . ومعنى كونه محضراً أن فائدته ومنفعته تكون حاضرة لديه . وأما عمل السوء فتود كل نفس اقترفته لو بعد عنها ولم تره وتؤخذ

بجزائه . وهذا يدل على أن عمل الشر يكون محضرا أيضا ولكنه عبر عنه بما ذكر ليدل على ان احضاره مودّ لصاحبه يود لو لم يكن أي ومنه يعلم أن إحضار عمل الخير يكون غبطة لصاحبه وسرورا . وقال الاستاذ ان هذا التعبير ضرب من التمثيل كالآيات التي فيها ذكر كتب الأعمال وأخذها بالايمان والشمائل فان الغرض من التعبير بأخذها باليمين أخذها بالقبول الحسن ومن أخذها بالشمال أو من وراء الظهر أخذها مع الكراهة والامتعاض .

أقول وكيف لاتجد كل نفس ما عملت محضرا فتسر بالحسنة وتنعم بما أحسنت، وتبتئس بالسيئة وتنغّص بما أساءت ، وتود لو كان بينها وبينه بعد المشرقين وهذه الأعمال مرسومة في صحائف هذه الأنفس وهي صفات لها وعن هذه الصفات صدرت تلك الحركات فزادت الصفات رسوخا والنقوش في النفس تمكنا حتى ارتقت بالمحسن الى عليين ، حيث كتاب الأبرار ، وهبطت بالمسيء الى سجين، حيث كتاب الفجار ، ( ويحذركم الله نفسه ) فإنه من ورائكم محيط وسننه في تأثير الأعمال في النفوس [illegible] عليكم ، أفلا يجب عليكم — والأمر [illegible] من القدرة على الخير والميل اليه بترجيحه على مايعرض على الفطرة من تزيين عمل السوء والتوبة اليه سبحانه مما قلتم عليه في الماضي ( والله رؤف بالعباد ) ومن رأفته أن جعل الفطرة سليمة ميالة بطبعها الى الخير وتتألم مما يعرض لها من الشر — وأن جعل للانسان أنواعا من الهدايات يرجح بها الخير على الشر كالعقل والدين — وأن جعل جزاء الخير مضاعفا — وأن جعل أثر الشر في النفس قابلا للمحو بالتوبة والعمل الصالح — وان أكثر التحذير من عاقبة السوء ليذكر الانسان ولا ينسى ، لعله يتذكر أو يخشى ،

ومن مباحث اللفظ في الآية دخول الحرف المصدري على مثله في قوله «لو أن» قال الاستاذ الامام وهو معروف في الكلام العربي الفصيح فلا حاجة الى جعل الاصل فيه التمني وتأويل ما سمع منه . وقد اختلف في تفسير الأمد فقيل الغاية وقيل الاجل وقيل المكان . وقال الراغب: الأمد والابد يتقاربان لكن الابد عبارة عن مدة من الزمان ليس لها حد محدود ولا يتقيد لا يقال أبد

كذا والامد مدة لها حد مجهول اذا أطلق وقد ينحصر نحو أن يقال أمد كذا كما يقال زمان كذا والفرق بين الزمان والامد أن الامد يقال باعتبار الغاية والزمان عام في المبدإ والغاية ولذلك قال بعضهم المدى والامد يتقاربان

(٣١ : ٣٠) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٢ : ٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ •

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فان ماجئت به من عنده مبين لصفاته وأوامره ونواهيه والمحب حريص على معرفة المحبوب ومعرفة ما يأمر به وينهى عنه ليتقرب اليه بمعرفة قدره وامتثال أمره مع اجتناب نهيه ويكون بذلك أهلا لمحبته سبحانه ومستحقا لان يغفر له ذنوبه قيل ان الآية نزلت كالجواب لقوم ادعوا أمام الرسول عليه السلام انهم يحبون ربهم وما من أحد يؤمن بالله ولو بطريق التقليد [illegible] وقيل انها نزلت ليخاطب بها نصارى نجران الذين ادعوا كاليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه • ثم ان أوائل هذه السورة نزلت اذ كان وفد نجران في المدينة ويصح ان تكون مما يحتج به عليهم ولكن الخطاب فيها عام ، وحجة على أهل الدعوى في كل زمان ومكان ، وما قيمة الدعوى يكذبها العمل ، وكيف يجتمع الحب مع الجهل بالمحبوب وعدم العناية بأمره ونهيه ،

تعصي الاله وأنت تظهر حبه    هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته    ان المحب لمن يحب مطيع

(ويغفر لكم ذنوبكم) السابقة من الاعتقاد الباطل والاعمال السيئة لان هذا الاتباع هو الاعتقاد الحق والعمل الصالح وهما يمحوان من النفس ظلمة الباطل ، ويزيلان منها آثار المعاصي والرذائل ، وهذا هو عين المغفرة ، فالمغفرة أثر فطري للايمان والعمل الصالح بعد ترك الذنوب كما أن العقاب أثر طبيعي للكفر والمعاصي (والله غفور رحيم) جعل المغفرة سنة عادلة وبينها برحمته واحسانه لعباده ، وهي تزكية

النفس بالاتباع الذي أكد الأمر به وبين أن عاقبة الاعراض عنه الحرمان من حب الله تعالى فقال :

﴿ قل أطيعوا الله ﴾ باتباع كتابه ﴿ والرسول ﴾ باتباع سنته والاهتداء بهديه ﴿ فان تولوا ﴾ وأعرضوا ولم يجيبوا دعوتك غرورا منهم بدعواهم أنهم محبوب لله وأنهم أبناؤه وأحباؤه ﴿ فان الله لا يحب الكافرين ﴾ الذين تصرفهم أهواؤهم عن النظر الصحيح في آيات الله وما أنزله على رسوله وترك الشرك والضلال الذي نهيت عنه واتباع الحق في الاعتقاد الذي بينته والعمل الصالح الذي أرشدت اليه ، هؤلاء هم الكافرون وان ادعوا أنهم مؤمنون وأنهم يحبون الله والله يحبهم

هذا ماتراه كافيا في فهم الآيات وليس عندنا فيها عن الاستاذ الامام شيء ، وان من الباحثين من يخفى عليه معنى حب الله الناس وحبهم اياه فنوضح ذلك بعض الايضاح .

حب الناس لله يجهله من يعيش كما تعيش الديدان والبهائم لا يشغله الامر قلبه وذهنه ويعرفه الحكماء الربانيون والمؤمنون الصالحون ويمكن تقريبه من فهم الجاهل المستعد للعلم وتشويقه اليه بارشاده الى مراجعة فطرته والبحث في أسباب حب الناس لكثير من الأشياء التي لا يحبها حيوان آخر

يجد كل حي من الأحياء ميلا من نفسه الى ما به كمال فطرته على حسب استعدادها فالأنعام التي ينحصر استعدادها فيما به حفظ وجودها الشخصي والنوعي لا تميل الا الى الغذاء لحفظ الأول والنزوان لحفظ الثاني وأما الانسان فله استعداد لا يعرف له حد ولا نهاية وميله وحبه أيضا ليس له حد ولا نهاية وانما تقف الامراض الروحية ببعض أفراده أو جمعياته عند حدود معينة لفساد في التربية ومرض في مزاج الاجتماع وهذا الاستعداد وما يتبعه أنصع الدلائل عند العالمين بنظام الاكوان على ان الانسان خلق للبقاء لا للفناء وان له حياة أخرى ينال بها كل ماخلق مستعدا له من العرفان واعلاه الكمال في معرفة الله

يحب الانسان جمال الطبيعة فيبذل المال الكثير لانشاء الحدائق والجنات ، واجتلاب مالم يوجد في بلاده من انواع النبات ، وتطربه خرير المياه ، وحفيف

الرياح ، وتغريد الاطيار ، على افنان الاشجار ، — يعشق جمال الصنعة فيعنى بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة في اقتناء الصور البديعة ، والنقوش الدقيقة ، — يهوى الوقوف على مجاهل الأرض والاطلاع على أحوال العالمين فيركب الأخطار ، ويقتحم البحار ، ويسمح بالوقت والدينار ، — يهيم بالرياسة فيستهين لاجلها باللذات ، — ويزدري الشهوات ، وينافح في سبيلها الاقران ، ويكافح في طلبها السلطان ، — يفتتن بحب أهل النجدة والشجاعة وقواد الجيوش فيبذل حياته لحفظ حياتهم ، ويتحمس في التحزب لهم بعد مماتهم ، — يولع بكبار العلماء فيتخذهم أئمة متبعين ، وان حرم في اتباعهم من حقيقة العلم والدين ، ويتعصب لهم على من خالفهم ، وان كان الحق يؤيده من دونهم ، — يهيم بالمعقولات السامية ، والحكمة العالية ، فيحتقر دونها المال والحياة والرياسة والامارة ويتزوي في كسر بيته يعمل الفكر ، ويروض النفس ، ويصقل الروح ، معتقدا ان من سار سيرته فهو المغبوط وان الغافل عن ذلك هو المغبون ، « كل حزب بما لديهم فرحون »



إن استعداد الانسان أعلى من كل ذلك فهو لا يقف عند حد اكتشاف المجهولات ، ومعرفة ما في الارض والسموات ، ومجالدة جليد قطب الشمال ، ومواثبة أسود أفريقية وأفاعي الهند ، ومناصبة أمواج القاموس الاعظم ، ومراقبة نجوم السماء ، في الليالي الليلاء ، بل هو يبحث عن الماضي ليتعرف مبدأ الخلق والتكوين ، ويبحث عن المستقبل ليعلم الغاية والمصير ، بل هو يبحث عن حقيقة الخالق البارئ ، قبل أن يعرف شيئاً من حقائق المخلوقات ، وقبل ان يعرف نفسه واستعدادها ، وغرضها من بحثها واستقصائها ، نرى هذا الانسان الذي يحب هذه الاشياء التي لا تتناهى - لأنه خلق مستعدا لمعرفة لا تتناهى ، قد يهيم حبا في بعضها ، حتى يشغله عن سائرها ، وكلما كان موضوع حبه أعلى ، كان هو في نفسه ارقى وأسمى ، ومنتهى الرقي والسمو ان يحب في كل شيء معنى الجمال المودع في كل شيء ، وهو الابداع الالهي ، والنظام الرباني ، فلا تحجبه المباني عن المعاني ، ولا تشغله الاشباح عن الارواح ، فيلاحظ في كل جميل أحبه منشأ جماله ، وفي كل كامل أجله مصدر كماله ، وفي كل بديع مال اليه علة ابداعه ، وفي كل مخترع أعجب به الحكمة العامة في الاقدار على اختراعه ،

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها  وأعضائها فالحسن عنك مغيب

فهذا هو حب الله عز وجل — حبه في كل محبوب لشاهدة جماله في كل جميل، ورؤية ابداعه في كل بديع، ومعرفة كماله في كل كامل، لأنه مصدر كل شيء «الذي أحسن كل شيء خلقه» هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم

وأما حبه تبارك اسمه وتعالى جده لعباده الذين يحبونه و يتبعون رسوله الذي هداهم الى معرفته ، ودلهم على سبيل حبه وعبادته، فهو شأن من شؤون الإلهية في عباده لا يعرفه الا من ذاقه ، وعرف وصل الحبيب وفراقه ، وصار مظهرا من مظاهر حكمته ، ومجلى من مجالي ابداعه ، ومصدرا من مصادر الخير في عباده ، وروحا من أرواح النظام في خلقه ، وانما يكون كذلك اذا تخلق بأخلاق الله ، وتحقق بأسمائه وصفاته جل علاه ، حتى صار في نفسه من خلفاء الله ، كما ارشده كتاب الله ، ولا يمكن الافصاح من هذا المقام ، لانه يعرف بالذوق لا بالكلام ، وانما يذوقه من أحب الله، وعرف كيف يعامل من أحبه واصطفاه، فاعمل لذلك لتعرف ماهناك ،

تحب فان الحب [illegible]  وكن من [illegible] موجب القرب



باب المقالات

## الهوى والهدى او اللذة والمنفعة (*)

يولد الحيوان ذا وجدانين متضادين — وجدان اللذة بما يلائمه ووجدان الألم مما لا يلائمه ، واحساس الطبيعة الحيوانية بالحاجة الى اللذيذ يسمى شهوة وهو يطلبه قبل وجوده ويلتذ به بعد ان يصيبه ، فالشهوة هي الشعور الاول للحيوان واللذة هي الشعور الثاني والمطلب الاول . لا فصل في هذا بين الحيوان الاعجم والناطق ، على ان الانسان لا يولد ناطقا بل يولد أشد عجمة وأضعف شعورا من سائر الحيوانات

يتعلم وليد الانسان النطق بعد ولادته باشهر فيعبر عن شعوره وادراكه ويفهم من غيره بعض ما يعبر به عما في نفسه ثم يتولد فيه الميل الى البحث ومعرفة المجهولات

(* كتبنا هذه المقالة ومابعدها « للجريدة » ونشرت فيها

ثم الفكر فيما تدركه مشاعره والتذكر والتخيل والقياس والاستنتاج وهي اللذة المعنوية تسوقه اليها شهوة عقلية ينفرد بالرقي فيها دون الحيوان الاعجم وبذلك يميز بين النافع والضار ويحكم بوجوب طلب الاول وان كان مؤلماً كالدواء ، واتقاء الثاني وان كان مشتهى ومستلذا كالخمر والحشيش ، وكالاسراف في اللذات النافعة · كما يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد ويرجح الحق على الباطل

يرتقي الانسان في التمييز بين النافع والضار والحق والباطل بالتدريج وربما بلغ أشده واستوى وهو يرى بعض النافع ضارا وبعض الباطل حقا ولا يحيط أحد من الناس خبرا بالمنافع والحقائق ولو شخصه فما قولكم دام فضلكم في الباحث عن المنافع والمضار لامة عظيمة أو دولة كبيرة

ترتقي معرفة الناس بالمنافع والمضار بارتقاء التربية الصالحة والتعليم النافع وانك لتجد أكثر المرتقين في تربيتهم وتعليمهم يؤثرون اللذة على المنفعة في كثير من شؤونهم وأحوالهم فما بالكم بمن دونهم في ارتقائهم

إيثار اللذة على المنفعة والباطل على الحق هو اتباع الهوى وعكسه هو اتباع الهدى ولو كان كل لذيذ ضارا أو كل ألم مؤلما لهلك الناس باستحباب الهوى على الهدى ولكن أكثر اللذائذ نافعة وأكثر المؤلمات ضارة والحق والخير محبيان الى النفوس البشرية طبعاً وانما يكرههما الجاهل بهما أو من تربى على ضدهما حتى ملك الباطل أو الشر وجدانه ، واستحوذ على نفسه استحواذاً · فليس في فطرة الانسان غريزة تصده عن الكمال في اتباع الهدى باختيار الحق على الباطل · وترجيح النافع على الضار ، فتبارك الفاطر الحكيم

يحب الطفل اللعب وهو نافع له وقد يؤثره في سن التمييز على التعلم فيظن الجاهل ان هذا إيثار اللذة على المنفعة لفساد في الفطرة وما هو بفساد في الفطرة وانما هو مظهر الحكمة فيها

لا ينفر الولد من التعلم الا اذا كان فيه ارغام الفطرة بتكليفه فهم ما هو غير مستعد لفهمه وذلك ضارٌّ به · أو بمنعه من اللعب النافع له ، أو بمعاملته بالشدة العائقة له عن كماله ، وهذا التحكم في عقله ونفسه كالتحكم في جسمه بسومه حمل الاثقال ،

ومصارعة الرجال ، وأكثر الناس يعرفون درجات قوى الاجسام ، دون درجات قوى النفوس والاحلام ،

جرب بعض الناس طريقة الحكمة في التعليم والتربية وهي الطريقة التي لا تخرج الناشيء عن طوره فتجعل الدارج يافعاً أو الطفل كهلا – الطريقة التي لا تحمل الطبيعة مالا تحمل ، فجذبوا الناشئين بسلاسل اللذة التي عرفوها ، الى جنة المنفعة التي جهلوها ، فانجذبوا طائعين مسرورين

هكذا يمكن للمربي الحكيم ان يجمع بين الهوى والهدى ولولا هذا الامكان لما قال النبي عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ولكن المربي الجاهل يدع الناشيء في الهوى ويغذيه باللذة ويصور له الالم أو الحرمان في المنفعة حتى يكون من الخاسرين

سنة الله في الأمم تشبه سنته في الافراد فللأمة طفولة وتمييز وشباب واستواء ، وهي تؤثر قبل بلوغها سن الكمال الاجتماعي اللذة على الفائدة ، وتستحب العمى على الهدى فتجهل وجوه المصالح العامة وما يقوم الأقوام وما يضعها ، وحينئذ تكون أحوج الى المربي الحكيم من الطفل اليتيم



ما ارتقاء الامة الا كثرة الحكماء والفضلاء فيها ومهما كثر هؤلاء فلا يكونون في سواد الامة الاعدد اقليلا فأكثر افراد الأمم الراقية الآن يؤثرون اللذة ويسعون لها سعيها في عامة أحوالهم . ألم يأتك نبأ خسارة من طبع كتب الفيلسوف هربرت سبنسر في علم الاجتماع وفلسفة التربية والتعليم وهي انفع ما كتب حكماء الغرب في أرقى امه ؟ قارن بين هذا وبين الربح العظيم الذي يناله من يطبعون القصص الغرامية وغير الغرامية تعلم ان الحكماء من كل امة يقيمون مواقع اللذة ويعرفون من النافع اذا لم يكن مستلذا ولكن الامة المرتقية لا يروج عندها الضار بها وان كان لذيذا

تربية الامم وارشادها أشرف الاعمال وأفضلها وأشقها وأعسرها ويعوزه من العلم والحكمة والاخلاص والنزاهة مالا يعوز غيره فان فتنة الهوى فيه لا يقاس بها فتنة حتى ان الملك العاطل من حلية هذه الصفات يتبع هواه في سياسة رعيته ، حتى يودي بشعبه ورعيته ، ولو كان خساره في ذلك موازياً لخسار الامة في مجموعها

آية من يتبع الهدى في ارشاد الامة أن لا يتبع فيه هواها ولا يتحرى ما يرضيها، وان كان يرديها ، وان يكون كالطبيب يجرعها المر ، يقيها الضر ، اذا تعذر أن تجذب بالقذات الى المنافع ، كما يجذب الدارج واليافع ،

لا يؤمن الفرد من اتباع الهوى في سياسة الامة وارشادها عن علم أو جهل لذلك جاء الوحي بوجوب جعل أمر المسلمين شورى بينهم و بذلك ارتقت الامم العزيزة . و ينبغي لمرشديها ان يسلكوا سبيل الشورى كحاكيها ، فلا يستبد أحد الافراد ، برأيه في الارشاد ، لهذا نرجو من هذه ( الجريدة ) من تحرير الفوائد ، فوق مانرجو من غيرها من الجرائد ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى ،



## سنن الاجتماع

«في الحاكمين والمحكومين منهم»

طبيعة الاجتماع تقضي بوجود الحكم كما تقضي بوجود النزاع والخصام ، فاذا لم يتغلب على الناس من يحكم فيهم كما يشاء اختاروا هم لانفسهم من يحكم بينهم كما يشاؤن، لأن ماقضت به سنن الوجود واقع ماله من دافع

الحكم حاجة من حاجات الناس يقوم به بعضهم بالنيابة عن الباقين فهو كسائر الحاجات من العلوم والمهن والحرف كالزراعة والصناعة والتجارة التي يقوم بكل فرع من فروعها من يكفي المجتمع همها كما يقوم هو بسائر حاجاتهم و يكفيهم ما أهمهم . فاذا كون كثير م من العاملين كل صنف يخدم مجموع الاصناف التي يعبر عنها بالشعب أو الامة من حيث يخدمونه و« كل ميسر لما خلق له » ومسير الى حيث يسوقه استعداده ، فمن سابق ومتخلف ، ومن محسن ومسيء ، ولكل جزاء ، والجزاء اما مال يكفي أو يغني ، وأما مال وجاه يعلي

جزاء الاعمال التي تطلبها طبيعة الاجتماع طبيعي مثلها ولولا ذلك لما اندفع كل فريق الى العمل الذي يزين له استعداده جزاءه والغبطة به فمن يطلب من

الجزاء الطبيعي على العمل اكثر مما تفرضه سنة الاجتماع من الجزاء عليه فهو باغ متنكب صراط الحق غير مقيم لميزان العدل اذ يطفف لنفسه ويخسر الأمة

البغي في اقتضاء الجزاء يكون من الافراد ومن الجمعيات والاصناف فالاول لاتأثير لغي افساد الأمة وتلافيه سهل وأما الثاني فهو البلاء المبين لأن قوة الاجتماع هي أعظم القوى . وانما يتحقق البغي بتحديد قيم الاعمال والاشياء تحديداً طبيعياً (ان امكن) أو قانونياً ليكون متجاوز الحد هو الباغي الذي يجب ارجاعه عن بغيه

يتجح زيد في بغيه على عمرو اذا كان أقوى منه علماً أو جسماً والحاكم يفصل بينهما اذا وقع الامر اليه والا كان الراضي بالمضيبة مستحقاً لها جزاء على جهله ومن ذلك مايقع كثيراً من الحوذية يطلبون فوق ماحدد لهم في (التعريفة) فالعارف يهددهم ، والجاهل قد يتقدم ، والخطب في الامرين سهل . وانما الخطب الجلل أن يتفق صنف من القائمين بأعمال المجتمع فيجورون في طلب الجزاء . ومنه مايعرف في هذا العصر باعتصاب العمال ولكن هذا الاعتصاب يجري في أعمال لم تحدد أجورها تحديداً طبيعياً ولا ... وسلطة العدل ... التأويل له دقيق ولا أرى له وجهاً نرضى به طبيعة الاجتماع الا ان يكون القسمة بين كسب المالكين واجور العاملين ، ويأبى علينا هذا المقال ان نخوض فيه ويرضي لنا ان نرده الى الحاكمين ،

لانقول ان اعتصاب العمال من البغي ، ولانقول ان فيه خطراً على الشعب ، وانما الخطر العظيم في بغي الحاكمين ، الذين يوكل اليهم تلافي بغي الافراد والجمعيات من المحكومين لهم ،

ماهو نوع عمل الحكام في الامة وما هو نوع جزائهم عليه ؟ جاء في فاتحة الكلام أن الحاكم اما متغلب بالقوة يحكم كما يشاء واما مختار من المحكومين له فيحكم بينهم بما يشاؤن من الشرائع والقوانين ، فالحاكم الأول يرى أن عمله من قبيل ادارة صاحب المزرعة والماشية والعبيد لما يملك وان ما يأخذه هو من قبيل الغلة والريع وانه يجب على المحكومين له أن يقوموا له في مزرعته الكبيرة (المملكة) بما يطلب وان يرضوا بما يفرضه لهم وعليهم والمحكومون له يرونه سلطاناً باغياً يتربصون به الدوائر على حسب حالهم في العلم والقوة أو الجهل والضعف . والحاكم الثاني يعلم كما يعلم

المحكومون له أن عمله من قبيل عمل الفعلة والاجراء وان ما يأخذه من الجزاء المالي عليه أجرة مفروضة وأن الجزاء المعنوي وهو الجاه أثر طبيعي لاحسانه في عمله كما يكون لغيره من المحسنين الى الامة في ترقية العلوم والفنون والاعمال

على حسب حال الامة يكون حكامها في نفس الامر الذي تقضي به طبيعة الاجتماع « كما تكونون يولى عليكم » واما حكم الشرع والعقل فهو يقضي بوجوب جعل الحكام أجراء للامة ، قال أبو العلاء ، فيلسوف الشعراء

مل المقام فكم أعاشر أمة حكمت بغير كتابها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

كذلك شأن أكثر الاجراء والوكلاء مع المالكين الجاهلين بما يجب أن يكون عليه ملكهم ، العاجزين عن تحديد الاعمال وتحديد اجور العمال والزام كل عامل أن يلزم حده لذلك أنحى الفيلسوف في شعره باللائمة على الامة التي مكنت أجراءها من الاستبداد في السيادة عليها حتى تجاوزوا مصالحها ، منبها بذلك الى اقامة الشريعة فيهم وارجاعهم الى الكتاب [illegible] شورى بينهم

ذلك حكم الشريعة والعقل ولن تقدر الامة على القيام به الا بتغيير الافكار والاخلاق التي كان من اثرها الطبيعي ان صار الاجراء سادة مالكين وتحصيل الافكار والعلوم والاخلاق التي تمكنها بالاتحاد من جعل المتغلب بقوته ، مختاراً لعدله وفضيلته ،

اذا احسن الحاكم المتغلب في عمله واقتصد فيما يتناول من مال الامة جزاء عليه كان جديراً بالجاه الصحيح وهو ملك القلوب وقيادتها بالمحبة والتعظيم وبما يتبعه من الحمد والثناء واذا اساء عملاً واسرف فيما يأخذ يفوته الجاه الصحيح ويستبدل به الجاه الباطل وهو قهر الرعية على ان تعامله معاملة الحاكم العادل من الثناء والتعظيم الصوري مكابرة النفس وعصياناً للقلب في سبيل طاعته الا لزامية ،

اما الحاكم المختار للامة فهي التي تفرض له برضاها اجره وتملكه قلوبها طائعة مختارة

روى ابن سعد في الطبقات عن حميد بن هلال قال لما ولي أبو بكر قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افرضوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يغنيه ،

قالوا نعم : برداه (ثوباه) ان اخلقهما وضعهما واخذ مثلهما، وظهره (أي ما يركبه) اذا سافر، ونفقته على أهله كما كان ينفق على أهله قبل ان يستخلف : قال أبو بكر رضيت . وفي رواية أو روايات انه أراد أن يعمل في التجارة طرفا من النهار لاجل عياله وينظر في امور الناس في سائر الاوقات فمنعوه وقال عمر نفرض لك فاراد ان يمتنع فاقنعوه وفرضوا له كواحد من المهاجرين لا ارفعهم ولا اوضعهم . وكذلك كان ينفق قبل الخلافة

هكذا كانت حكومة المسلمين في أول عهدها كانت من القسم الثاني من التقسيم المتقدم فعرض عليها من عوارض الاجتماع ما حولها عن وضعها وجعلها من القسم الآخر . وكم من حكومة كانت ظالمة بالتغلب فزحزحتها طبيعة الاجتماع عن مكانها ووضعتها تحت سيطرة الامة كحكومات الافرنجة في بلادها

لم تكن حكومة الشورى في المسلمين اثراً لارتقاء اجتماعي فيهم ولذلك لم يطل عليها العهد وانما كانت اثرا باهر الدين و[illegible] وقد تغلبت العصبيات في الامة قبل ان يستقر هذا النوع من الحكومة [illegible] ويقيم) بهدي الدين و يصير طبيعيا في الامة



للحكومات آجال مقدرة بقدر أحوال المحكومين لها الاجتماعية ولمدبر الكون فيها سنن لا تتبدل ولا تتحول، فما قصر اجل حكومة الشورى في المسلمين الا لان ذلك المجموع المؤلف من جميع الشعوب والاجناس لم يكن مستعدا لان يكون مسيطرا على حاكميه لقلة معارفه الاجتماعية ولانتفاء الوحدة التي تجعل الامة كرجل واحد . وانما يستفيد الناس من الدين والدنيا في كل زمان بقدر استعدادهم ولو كانوا شعباً واحداً في قطر واحد لرجي لهم طول هذا الاجل كما طال اجل حكومة الرومان ثم قضي عليها بالتوسع في العمران ودخول الشعوب الكثيرة تحت سلطانها

اذا اراد الله بامة ان تنهض الى جعل حكومتها تحت سيطرتها كما يجب ان تكون سهل لها من اسباب العلم الصحيح والتربية القويمة ما ينير أذهانها ويجمع كلمتها حتى تكون امة عاقلة حكيمة « والعاقل لا يظلم لا سيما اذا كان امة » كما قال الحكيم السيد جمال الدين الافغاني

يسرنا ان نرى بوادر العلم والتربية في افراد من امتنا الاسلامية في كل شعب وكل قطر وأن نرى بعض مرشديها يحثونها على الاستزادة منهما ويسوءنا ان بعض الجاهلين المرائين يفتاتون على المرشدين المخلصين فيملقون آمال الامة بغير هذا الطريق المعبّد والصراط السوي في تقويم الحكومة وما يجب ان تعاملها به الامة · ولكن قضت سنة الله بأن يغلب الحق الباطل و يرجح النافع على الضار ولو بعد حين

يسهل على من أوتي الخلابة في القول، والعرفان باهواء الجماهير، أن يغش امة هي في طور الطفولة في الحياة الاجتماعية وليس لها زعماء وحكماء ترجع في الامور العامة اليهم · و يسهل على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ان ينصح لها ويهديها سبل الرشاد ، فاذا هي رزئت بالمختلين وحدهم شقيت ، واذا هي رزقت الناصحين سعدت ، واذا تنازعها الصنفان وجد صاحب الحق من نصر العقلاء وإن قلوا ، مايفلّ جموع أنصار الباطل وان كثروا ، وبذلك ترتقي الامة ارتقاء يجعلها أهلا لان تختار حكامها وتحدد لهم الجزاء المالي على اعمالهم وتمنحهم الجاه والشرف باختيارها لانهم محكومون بسلطتها المبنية على الحكمة والعرفان وهي تجزيهم بمشيئتها الناشئة عن الرضى والاذعان



## الى اي شيء انت يامصر احوج

للقطر المصري في هذا العصر حال لايشاركه فيها قطر آخر من اقطار الارض وهذه الحال مفيدة له من وجه وخطر على أهله من وجه آخر فيجب ان يعرفوا كيف يجتنون الفوائد من الوجه الاول و يجتنبون الغوائل من الوجه الثاني

الحال التي انفرد بها هي ان جميع الامم الراقية تنازع أهله الحياة في المعاش أو الاقتصاد كما يقال وفي الاجتماع والآداب وما من أمة منها الا وهي ارقى من أهله في العلوم والاعمال ولها من الحقوق فيه أكثر مما لهم فالقوانين المصرية تبيح للاجانب ان يملكوا من البلاد كل مايملكه الوطني وان ينشروا فيها لغاتهم واديانهم ومذاهبهم و يأتوا بعاداتهم وتقاليدهم كما يفعل الوطني ولكن الحكومة المصرية ليس لها من المراقبة والسلطان على الاجنبي مثل مالها على الوطني فللاجنبي أوسع

حرية واكثر استقلالاً في اعماله كلها

اما وجه الفائدة من هذه الحال فهوان الاوربيين في مجموعهم مدرسة جامعة في البلاد تعلم أهلها من الاعمال المالية بأنواعها والاجتماعية والادبية مالم يكونوا يعلمون وتعليم العمل اقرب الى النفع من تعليم العلم اذ العمل مقصد والعلم وسيلة اليه في الغالب فكل عامل ينفع البلاد ويرقيها وما كل عالم ينفع وماطينا — والمدرسة العملية مفتحة الابواب ودروسها مبذولة في كل مدينة وقرية لكل من له عين تبصر واذن تسمع وعقل يدرك وقلب يتأثر — الا أن تعلم كيف نكتسب وكيف نقتصد وكيف نؤسس الشركات ، وكيف نؤلف الجمعيات ، وكيف نحافظ على الآداب والعادات، وكيف نقيم بناء وحدتنا الجنسية، وكيف ندعو الى عقائدنا وآدابنا الدينية ، وكيف نوزع هذه الأعمال على اصناف العاملين ، وكيف نكون مع هذا التوزيع متعاونين متكافلين

وأما وجه الخطر، فهو جلي واضح ، فإن ضعيفاً يتنزع الاقوياء الحياة يوشك ان ينزعوه، وواهناً يحاوله الاشداء [illegible] وقد كان في الامثال المسلمة « ضعيفان يغلبان قوياً » فما بالك بجمعة اقوياء يغالبون ضعيفاً واحداً ألا يكون الخطر عليه شديدا ؟ بل انه يخشى ان تنزع هذه الشركات الأجنبية والمصارف ( البنوك ) اكثر ما في ايدي المصريين من أرض مصر حتى يكونوا كلهم فيها اجراء لا رزق لهم الا ما يفيضه المالك الجديد عليهم من اجور أعمالهم من الحرث والخدمة ويكون الكثيرون منهم عالة لا يجدون من جود الاغنياء ما يسد رمقهم ويبقى الباقون في الغالين بالتقليد والمحاكاة . يومئذ ( لا كان يومئذ ) لا يستطيع ان يقول المصري هذه بلادي فأنا أولى وأحق بأن اتولى أحكامها بنفسي وأدير نظامها بيدي .

انما يخشى ان يسرع هذا الخطر المادي اذا شايعه الخطر المعنوي وامده في سيره وهو التهاون في امر مقومات الامة ومشخصاتها من الدين واللغة والآداب والعادات الحسنة بل اقول لا يمكن لأمة ان تحفظ كونها الا بالمحافظة على عاداتها وان كانت غير حسنة ولا قبيحة وان تتروى في القبيح منها فتدعو الى تركه ان تحقق قبحه بالتدريج واستبدال النافع بالضار ولا حسن في عادات الامم الا النافع

ولا قبيح الا الضار . ألم تروا ان أعز الامم واوسعها سلطانا هي اشد الامم محافظة على العادات والتقاليد المشخصة لها وان كان غيرها خيراً منها ؟ ألم تعلموا أن اكثر الامم الاوربية قد استنفدت حيلتها بعد ما استفرغت بلاغتها وفصاحتها في محاولة اقناع الانكليز باستبدال القياس العشري ( المتر ) بمقاييسهم ( اليرد ) بل بتوحيد المقاييس — وناهيكم بفوائده — فلم يزد ذلك الانكليز الا محافظة وثباتاً على مادرجوا عليه . ألم يأتكم نبأ ما كان لاستبدال اسماعيل باشا الخديو التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري من الفرح والسرور في أوربا !! قيل ان ذلك اليوم كان عند الاوربيين عيداً من الاعياد بل فتحاً مبيناً من أجل الفتوحات في تحويل الشعوب من حال الى حال . وهم ينتظرون عيداً ثانياً أو فتحاً آخر باقناع المسلمين عامة في مصر بترك العمل يوم الاحد كما فعل بعض تجارهم

تنتزع اراضي مصر من أهلها قطعة بعد قطعة فلا تشعر الامة بانتزاعها لان البلاد تبقى على حالها لا يتغير من معالمها ولا من شؤون عمرانها شيء ، وتترك مقومات الامة ومشخصاتها [illegible] ولا تشعر الامة بتركها وماله من الأثر في حياتها لان تحول الامر كتحول الظل لا يشعر احد بحركته ويشعر كل احد بعاقبته ، وانتقال الثروة من الشعب الكبير كانتقالها من الرجل الواحد الذي يغتر بكثرة ماله فيسرف ويبذر لا يلاحظ عند كل نفقة ما بقي من ماله ولا نسبتها الى دخله وانما تنحصر ملاحظته في شيء واحد وهو انه يملك مليونا فهو اليوم ينفق عشرة آلاف على انها عشرة من مليون وفي غد ينفق عشرة أخرى على انها عشرة من مليون ولا يزال يرى المليون مليونا وان لم يضم اليه شيئاً والعشرة عشرة وان صارت بانضمامها الى ماقبلها عشرات فمئات حتى تستغرق المليون فلا يبقى منه شيء أو يبقى منه ما يكون مثله في يد الفقير والمسكين

لا يهولنك ماقرأت فتكون من اليائسين ، ولا تستهونن به فتكون من المغرورين ، فان الخطر الذي ذكرناه — وان كان صحيحا — مما يمكن اتقاؤه وان لمصر على ضعفها قوة المالك المدافع عن ملكه أو المحافظ عليه في زمن لا غصب فيه ولا مصادرة في المال ولا استبداد يحول دون التربية والتعليم والمحافظة على مقومات الامة من

اللغة والشعائر والاخلاق والعادات فالخطر المخشي ليس خطرا اضطراريا لا قبل لنا به ولاحول لنا ولاقوة على دفعه وانما هو خطر نتقحم فيه بمشيئتنا واختيارنا واذا نحن اتقيناه كان مصدره وهو التنازع بيننا وبين الاجانب مصدرا علم وهداية ، وترق في الاجتماع والعمران ، نعم انه لايخلو من اثم ولكن منافعه تكون اكبر من اثمه

كيف يتقى هذا الخطر؟ قد علم مما مر ان الخطر محصور في امرين اضاعة الثروة واهمال مقومات الامة . فاما الثروة فلها ثلاث آفات أو ثلاث بلاليع — القمار ومنه مضاربات البورصة وقد فشا وباؤه في القطر المصري حتى لم يدع قرية ولا مزرعة (عزبة) سالمة من فتكه ، واعطاء الربا للاجانب ، وبيع الاطيان والاملاك منهم . ولاسبيل الى اقناع جميع الناس باتقاء هذه الآفات الثلاث ولكن الجرائد اذا فصلت مضارها وكررت النذر فيها وتتبعت الوقائع والحوادث في تخريبها البيوت وافقارها للاغنياء واذلالها للاعزاء رجونا ان يقل فتكها حتى لا يصل الى درجة الخطر على الامة

وأما مقومات الامة فأمرها [illegible] القول فيها أوسع وانما نطالب في شأنها الزعماء المصلحين [illegible] أصحاب الصحف الغيورون والخطباء [illegible] والتعليم لينشأ فيها الرجال المستقلون ، والنساء القادرات على تربية الولدان واقامة النظام في البيوت ، وهذا مايطلب من الزعماء والاغنياء ولا ينكر ما للجرائد الناصحة من التأثير في الحث عليه ، ثم على النصح المتتابع للامة في المحافظة على تلك المقومات واعلاء شأنها والتقريع الشديد للذين يهملون شيئا منها وهذا مايطلب من الخطباء والكتاب .

واني لأعجب كيف تقصر الجرائد الوطنية في هذين الركنين العظيمين — حفظ ثروة الامة وحفظ مقوماتها الجنسية وترقيتها — وتطيل الكلام في المسائل الخارجية والحوادث الجزئية فيكون اكثر ماتقوله لغوا لافائدة فيه للجمهور . أليست مصر احوج الى حفظ ثروتها ومقوماتها منها الى سائر الاشياء؟ أليست هذه الثروة والمقومات على خطر من التنازع مع سائر الامم يجب تداركه؟ أليست الجرائد هي المطالبة ببيان ذلك والحث على تلافيه؟ بل وعسى ان يكون عناية الجريدة به اكبر من عنايتها بسواه والله الموفق

# فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء، وإننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لإغفاله

## الكرامة والمعجزة

(س ٨) السيد محمد بن هاشم علوي (بجاوه) أسألك من كلمة: كل معجزة لنبي فهي كرامة لولي: هذه الكلمة تلهج بها الناس عندنا لا سيما عبدة الخوارق ولا أدري هل هي حديث أو أثر وما معناها

(ج) العبارة ليست حديثا ولا أثرا عن الصحابة وهذه الاصطلاحات من المعجزة والكرامة والولاية قد حدثت بعدهم وإنما هي كلمة لبعض المشايخ وافقت هوى الناس [illegible] القواعد الدينية وصارت بها الأمثال [illegible] شيوخ التصوف والعلم من أنكرها

ينقل عن الاستاذ أبي اسحق الاسفرايني والحليمي من أئمة الأشعرية انهما وافقا المعتزلة على انكار الكرامات. وذكر التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى أنه يزداد تعجبه من نسبة إنكارها الى الاستاذ «وهو من اساطين أهل السنة والجماعة» وكذب ذلك ثم قال ما نصه

«والذي ذكره الرجل في مصنفاته ان الكرامات لا تبلغ مبلغ خرق العادة، قال وكل ماجاز تقديره معجزة لنبي لا يجوز ظهور مثله كرامة لولي. قال وإنما مبلغ الكرامات إجابة دعوة أو موافاة ماء في بادية في غير موقع المياه أو مضاهي ذلك مما ينحط عن خرق العادة. ثم مع هذا قال إمام الحرمين من أئمتنا هذا المذهب متروك. قلت وليس بالغا في الشناعة مبلغ مذهب المنكرين للكرامات مطلقا بل هو مذهب مفصل بين كرامة وكرامة ورأى ان ذلك التفصيل هو المميز

لها من المعجزات . وقد قال الاستاذ الكبير أبو القاسم القشيري في الرسالة : ان كثيراً من المقدورات يعلم اليوم قطعاً أنه لا يجوز ان تظهر كرامة للاولياء لضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك ( فمنها حصول انسان لا من أبوين وقلب جماد بهيمة أو حيواناً وامثال هذا كثير ) انتهى وهو حق لا ريب فيه وبه يتضح ان قول من قال : ماجاز ان يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي : ليس على عمومه وأن قول من قال لا فارق بين المعجزة والكرامة الا التحدي : ليس على وجهه » اه كلام السبكي هنا

وقال بنفي العموم أيضاً في جوابه عن شبهة القائلين بأنه لو جازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة . وقال في الكلام على إحياء الموتى نحوه ومنه قوله « ولا أعتقد الآن ان ولياً يحيي لنا الشافعي وأبا حنيفة حياة يبقيان معها زماناً طويلاً كما عمرا قبل الوفاة بل ولا زمناً قصيراً يخالطان فيه الأحياء كما خالطاهم قبل الوفاة »

« محو الناس للاسماء من اللوح المحفوظ »

( س ٩ ) ومنه معطوفاً على السؤال السابق : وأسأل سيدي عن قول من سمعه يقول « فلان محيت اسمه من اللوح المحفوظ » وهذا القائل ممن يدعون الكرامات والتصوف وهو غني عن أول ما يجب عليه وإذا فرضنا حسن استقامته ومعرفته فهل يسوغ له هذا القول وما معناه وهل هو مدح للمحو اسمه أم ذم ؟ وقد أنكرت عليه قوله فلامني الناس المتهافتون على الخزعبلات لصغر سني وعدم كبر عمامتي ، وعدم قولي لمن يطلب من الدعاء أنت في رقبتي ، تفضل ياسيدي بين لي ما أشكل علي فقد اختلج بخاطري أنهم مصيبون في تصديقهم قوله وأنه ما قال منكرا من القول واني مخطئ في انكاري وما يدريني ان الحق معهم أجبني يا والدي

( ج ) انك مصيب في انكارك وهم المخطئون وليس الحق بكبر السن أو العمامة فقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن احدى وعشرين سنة فاثبت على فطرتك السليمة ولا تقبل من أحد قولا بغير دليل بين . أما كلام الدجالين فلا تفهم الا بالقرينة فانهم قد يريدون بمحو

الاسم الحكم بالموت وقد يريدون به إخراج المسمى من أهل المرتبة التي هو فيها حقيقة كالولايات الدنيوية أي عزله منها أو ادعاء كالذين يعترفون لهم بالولاية ومهما كان المراد فهذا القول من الجرأة على الله لا يصدر الا من جهول غره افتتان العامة بدعاويه وتقبيلهم ليديه فصدقهم وافتتن بنفسه أو نسي بهذا الجاه ربه فأنساه نفسه . وينبغي لك أن تتلطف في الانكار على هؤلاء لئلا تأخذهم العزة بالاثم فيؤذيك فانهم لخضوع العامة لهم يطغون ويستحلون الايذاء لاسيما اذا أمكنهم إخفاء سببه ليدعوا ان المعترض قد عاقبه الله كرامة لهم فان أكثر كراماتهم المزعومة هي الايذاء للناس ولم نسمع ان أحداً منهم قد نال من الكرامة أن أنقذ بعض بلاد المسلمين من الظلم أو أخرجهم من ظلمات البدع والخرافات

( قتل مسلمي الروس في الحرب اليابانية )

(س ١٠) يوسف افندي هندي بالبريد المصري (تأخر) : ماحكم الشرع الشريف فيمن قتل من مسلمي الروس في حرب اليابان هل ماتوا طائعين أم عاصين ولا أظنهم يعدون شهداء أرجو الحكم بالادلة لازال ملجأ لكل مستفيد

(ج) انني أعتقد ان محاربة مسلمي روسيا لليابان ليست معصية لله تعالى ولا ممنوعة شرعا وانها قد تكون مما يثابون عليها عند الله اذا كانت لهم فيها نية صالحة « إنما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى » وللنية الصالحة في حرب المسلم مع دولته غير المسلمة وجوه (منها) ان طاعته اياها تدفع عن إخوانه من رعيتها شيئا من ظلمها وشرها اذا كانت استبدادية ظالمة وتساويهم بسائر أهلها في الحقوق والمزايا اذا كانت نيابية عادلة أو تقربهم مادون ذلك اذا كانت بين بين (ومنها) أن العلوم والاعمال الحربية لاتزال من أهم عناصر الحياة الاجتماعية في البشر فاذا حرم منها شعب من الشعوب ضعفت حياته والضعيف لايكون الا ذليلا مهينا ، والخير للمسلمين من رعايا تلك الدول ان يكونوا مشاركين لسائر أهل الملل فيها في جميع مقومات الحياة الاجتماعية أقوياء بقوتهم أعزاء بعزتهم لا ان يكونوا فيهم ضعفاء أذلاء بدينهم فان دين الاسلام لا يبيح لأهله ان يختاروا الضعف والذلة على القوة والعزة واذا هم اختاروا ذلك عجزوا عن حفظ دينهم فكان ذلك إضاعة للدين نفسه فلا

تلتفت الى متعصب جهول يقول لك ان المنار يبيح للمسلمين ان يعتزوا بالكافرين الا اذا رأيته يعقل الكلام فقل له إنه ينصح للمسلمين بأن يختاروا العز على الذل مهما كان مصدر العز والقوة على الضعف ويرى ان حفظ الاسلام في غير داره لا يكون الا بذلك . ويتمنى نصارى العثمانيين لو تدخلهم الدولة في الجندية لذلك

## ﴿ الدخان هل هو نجس وضار ﴾

( س ١١ ) من محمد أفندي زيدان بسنورس الفيوم ( تأخر )

ما قولكم جعلكم الله منار الاسلام ويلبوع العلم ومنهل الوراد في مسئلة الدخان التي أخذ اختلاف الناس فيها كل مأخذ صار يا المتابه على أفكارهم وعقولهم فأصبح معظمنا والحمد لله ان لم أقل الكل مغموراً في غياهب الجهل بكنهها مضطرب الضمير تلعب به أيدي الخلاف على موائد الجهالات تختلج الصدر بالسؤال عما يكشف لثامها ٠٠ ويرفع نقابها وعن بيان أحكامها وهل الدخان نجس أو ممنوع منه الامام وهل يضر وهل يكون حجابا بين العبد وربه من الأنوار واني لأرى هذه المسئلة أم مسئلة ترجع اليها أنظار النظار بالبحث عن خبايا أسرارها ليستخرجوا معادنها الجوهرية ولا أرى [illegible] أغوارها وتذليل سياسيها الا منار الاسلام فوليت وجهي شطره بلسان حال الأمة مريداً بيان حقيقتها بما يسر الضمير ويرتاح اليه الخاطر مشدوداً نطاقه بساطع براهين مناركم كما عهدنا من قبل ولازلنا نعهد نشر لواء المنار على عويص المسائل فأدحض سحاب الجهل بقوى الحجة و بياض المحجة فلذا يتفضل علي بل على الشعب بأسره بقطرة من بحار علومه الفياضة أو بشعاع من شمس معارفه فيهتدي بها سواء السبيل والسلام

( ج ) قد نشرنا هذا السؤال بنصه لما فيه من الفكاهة وبيان استعداد الناس للاحفاء والاستقصاء في كل شيء . وان مايراه بعضهم من الامور التي لا يؤبه لها يراه آخرون ذا بال بل من أهم المهمات

اما كون الدخان نجسا أوغير نجس فالجواب عنه أن هذا النبات الذي يسمى دخانا لأنه يستعمل إحراقاً ليشتم بدخانه هو كسائر النبات طاهر ولا يوجد في الدنيا نبات نجس واما كونه ضارا أم لا فهذا مما يرجع فيه الى الاطباء لا الى الفقهاء

والمعروف في الفقه ان كل ضار محرم على من يضره وما كان من شأنه ان يضر قطعا الا في أحوال نادرة يمكن إطلاق القول بحرمته أو ظنا يحكم بكراهته . والمشهور عن الاطباء أن في هذا النبات المعروف بالدخان و بالتبغ والتتن و بالتنباك مادة سامة تسمى ( نيكوتين ) فهو لذلك يضر المصدورين قطعا وان صحيح الجسم اذا تعوده بالتدريج فانه لا يضره ضررا بينا ولاشك ان تركه خير فصحة من استعماله فينبغي لمن يبتلى به ان لا يقلد الناس فيه فانه اذا لم يخل من ضرر مايكون مكروها شرعا وعلى من ابتلي به ان يراجع الطبيب الحاذق فاذا جزم بضره وجب عليه تركه واذا قال يحتمل ان يضره استحب له تركه واذا قال إنه لا يضره مطلقا أبيح له استعماله واذا اتفق ان كان نافعا لمقاومة مرض ما كما يقع كثير من السموم في مقاومة بعض الامراض صار مطلوبا استعماله شرعا وقد يكون حينئذ واجبا اذا جزم الطبيب بتوقف منع الضرر على استعماله والا كان مخيرا بينه و بين مايقوم مقامه . فلم [illegible] الاحكام الحسنة كما يقولون

﴿ النهي عن الجمع بين الاختين والتزوج بامرأة الأب الا ما قد سلف ﴾



(س١٣) عكاشه فندي خليل بالأبيض من السودان : ارشدني أرشدك الله الى الصراط المستقيم الى تفسير قوله تعالى « وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف » وقوله « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف » ورجائي نشره في مناركم ولكم الثواب

( ج ) معنى قوله عز وجل « الا ما قد سلف » لكن ماسلف أي سبق لكم من ذلك في زمن الجاهلية لا مؤاخذة عليه وكانوا في الجاهلية يجمعون بين الاختين في الزواج ويتزوجون بنساء آبائهم اذا ماتوا عنهن فنهى الله عن ذلك و بين ان ماسبق في الجاهلية لا يؤاخذ عليه وهذا الاستثناء يسميه النحاة الاستثناء المنقطع . ويقول بعض المفسرين ان الاستثناء متصل ولا حاجة الى بيان قوله لمن يريد فهم المعنى ولا حاجة له في الاصطلاحات النحوية

## ﴿ الحب وهل هو اختياري أم اضطراري ﴾

( س ١٣ ) ... التلميذ بمدرسة الناصرية بمصر : ماهو الحب؟ وهل هو اختياري أم اضطراري ؟ أفيدونا بأجلى بيان وأعظم برهان ، وان شئتم فأرسلوا لنا الرد على غير صفحات المنار ويكون لكم الفضل والله لا يحرمنا من أمثالكم

( ج ) ورد لنا هذا السؤال منذ سنة وشهر ولم يأمر السائل بكتمان اسمه ولا بالرمز اليه وكنا ترددنا في الجواب عنه ثم نسيناه ولما راجعنا في هذه الايام ما تأخر من الاسئلة التي جاءتنا في السنة الماضية ولم نجب عنها رأينا هذا فيها واستحسنا ان نجيب عنه جوابا مفيدا لامثال السائل من الناشئين الذين أنشأت بوادر الحب تعبث بنفوسهم وتنشيء له في مخيلاتهم جنات باسقة الاشجار ، بهيجة الازهار ، تجري من تحتها الأنهار ، وتغرد من فوقها الاطيار ، تتهادى في أفيائها كواعب الأبكار ، فيتراءى لهم من سعادة الحياة في مناغاة أولئك الغادات ، في حدائق هاتيك الجنات ، ما قد يشغلهم عن تحصيل العلم ، ويسوقهم عن تربية النفس ، ويجذبهم الى مطالعة قصص الغرام ، التي تغذي تلك التخيلات والأوهام ، حتى يؤدي بهم التعرض للحب اختيارا ، أو يقعوا في حبائله اضطرارا فيجني عليهم ما يجني مما لا محل لذكره هنا

معنى الحب بديهي لا يمكن تعريفه بما هو أجلى عند النفس منه فاذا قلت لك : ان حبك للشيء عبارة عن ميلك اليه او هو انفعال ارتياح وأنس بالشيء المحبوب أو شعور ملائم قطبع مثاره أو منشؤه ذلك الشيء ، أو غير ذلك لا يزيدك ذلك معرفة بالحب وانما يزيدك معرفة بالالفاظ المرادفة أو المتقاربة في المعنى فمن أحب شيئا ما عرف معنى الحب المطلق في الجملة وحب ذلك الشيء بالتحديد واذا فرضنا انه يوجد في البشر من لا يحب شيئا قط فاننا نجزم بان إفهامه معنى الحب محال ومن أحب شيئا دون شيء فاننا نعرفه معنى الحب المجهول عنده بتشبيهه بالمعروف له ولكن هذا التعريف يكون بالتقريب لا بالتحديد لأن حب الاحترام غير حب الشفقة وحب القرابة والصداقة غير حب الزوجية · وصفوة القول ان الحب من الوجدانات التي لا يعرفها إلا من ذاقها كالسرور والفرح والخوف والحزن

وأما كونه اختياريا أو اضطراريا فهو مما اختلف فيه الباحثون فقال بعضهم

بالأول وبعضهم بالثاني وذهب آخرون الى ان أوله اختياري وآخره اضطراري وقد نظموا هذه الآراء واشتهرت فيها أشعارهم واذا رجع الانسان الى نفسه والى مايعرف من أبناء جنسه ودقق النظر في ذلك يتجلى له ان لكل قول وجها ولكنه قاصر عن تمحيص الحقيقة وذلك أن الانسان قد يحدث له الحب فجأة وقد يختار معاشرة بعض من يستحسن والتودد إليه لأجل ان يحبه فيحبه وقد يحب امرأ اوامرأة فجأة أو بعد تحبب ثم يفطن الى ان هذا الحب لاخير فيه وأن تركه خير من البقاء عليه فيتكلف السلو بالبعد وترك المعاشرة حتى يسلو ، وقد يكون ضعيف الارادة فاقد العزيمة لايقوى على مغالبة الحب وان هو اعتقد عبثه بشرفه ودينه وذهابه بماله وافساده لمصالحه فيظل مغلوبا له خاضعا لسلطانه

كل أولئك كان واقعا معروفا للمختبرين وماقال من قال ان الحب اختياري دائما ، أواضطراري مطلقا ، أوأوله اختياري وآخره اضطراري الا حكاية عما يجد في نفسه مع الغفلة عما عليه غيره من الناس والا فهو جاهل بنفسه وبغيره

وان شئت تفصيلا لهذا الاجمال فاعلم ان موضع الخلاف هو حب الشهوة الذي يسمى عشقا كحب الرجل المرأة التي يشتهي ان يقترن بها حبا يملك شعوره ووجدانه لامطلق حب الانسان الجميل أو القريب أوالمحسن أو الفاضل فان الحب المطلق للجميل المستحسن من الانسان وغير الانسان مما غرز في طبائع البشر واصطبغت به فطرتهم لايملكون دفعه ، ولا اختيار لهم فيه . وقلما يكون العشق اضطرارا بل الغالب فيه ان يستحسن المستعد للعشق من تحسن صورته أو صورتها في عينه وتحل محلا من قلبه فيطيل في ذلك الفكر والتخيل ، ويعود الى النظر والتأمل ، ويتدرج من ذلك الى المكالمة والمعاشرة حتى يصير عاشقا ، واسترساله في هذه الامور يكون باختياره في الاكثر ، وما كان من الخواطر والتخيلات الاولى بغير اختيار تسهل مدافعته بتكلف التفكر في غيره قبل ان يتمكن ، ولذلك عبرنا بلفظ الاسترسال ومن سبر هذا وفقهه حق الفقه يجزم بأن أكثر الذين عشقوا مابلغوا في ميلهم واستحسانهم الى درجة العشق الا بأعمال نفسية وبدنية استرسلوا فيها باختيارهم ولو شاؤا لما استرسلوا ولو لم يسترسلوا لما عشقوا ولكنهم اختاروا ان يعشقوا الا انهم توهموا

ان في العشق غبطة وهناء ، ونعمة وسعادة

ومن النادر الذي يبعد تصوره ، ويعسر تعليله ، أن ينظر الانسان إلى صورة جميلة فيفجأه عشقها مستغرقا شعوره ووجدانه ، مالكا عليه أمره ، سالبا منه إرادته واختياره ، ولو قال قائل ان هذا غير ممكن أو غير واقع لما صلحت حكايات « ألف ليلة وليلة » وأشباهها من القصص « الروايات » ناقضا لقوله ، ذلك بان الانفعالات التي تعرض النفوس لاتكون بالغة منتهى القوة والشدة الا اذا اصطدمت بوجدان يقابلها كالحزن الشديد لفقد المحبوب العزيز والفرح الشديد بلقائه بعد اليأس منه وكالخوف على الحياة من خطر مفاجئ

وقد يقال أيضا ان داعية النسل قد تقوى في بعض الناس الذين ليس لهم شواغل عقلية فتحدث استعدادا يستغرق الوجدان ويعم تأثيره المجموع العصبي فيتفق ان يرى صاحب هذا الوجدان في هذه الحال من الصور ذوات الجمال ما يشاكله فينفعل لرؤيته انفعالا شديدا ويتمكن تأثيره في نفسه لأول وهلة فلا يكون له اختيار فيه ، ولا مستطاع لدفعه ، ولكن هذا نادر كما قلنا آنفا والنادر لاحكم له كما يقولون

والغرض من هذا البيان أن الحب الذي تثيره داعية النسل كسائر أنواع الحب يخضع للتربية والتهذيب وليس من شأنه سلب الاختيار بطبيعته وانما ينمو كغيره بالاعمال الاختيارية حتى يخرج عن طوق الاختيار أحيانا لاسيما ضعفاء الارادة وأهل البطالة ، فقد يولع المرء بلعب الشطرنج أو اللهو باطارة الحمام حتى يرى تركهما فوق ارادته واختياره . فعلى السائل وأمثاله من الناشئين ان لا يسترسلوا مع اهوائهم في الحب لئلا يحكم عليهم سلطانه الجائر حكما يتجرعون غصصه طول حياتهم .



# باب التربية والتعليم

## التعليم الديني

لا نعرف بلاداً إسلامية أثر فيها التفرنج كما أثر في مصر وأغرب مظاهر هذا التأثير ماجرى منذ أشهر من الخلاف بين المسلمين في تعليم الدين بالمدارس بل وفي فائدة تعليم الدين وعدم فائدته وامكان الاستغناء عن الدين في تهذيب الاخلاق وتربية النفوس

فتحت باب البحث في ذلك الجرائد وتبعها الناس كعادتهم فمن قائل ان موضع تعليم الدين البيوت لا المدارس وانه ينبغي للحكومة ان تبطل تعليم الدين من مدارسها ومن قائل ان مايعلم في هذه المدارس كاف لا حاجة الى الزيادة عليه ، ويقابل هذا القول قول من يطالب الشعوب والجمعية العمومية زيادة التوسع في تعليم الدين بهذه المدارس ونورد من هذه الاقوال والآراء ما كتبه بعض الناظرين في آراء فلاسفة اوربا ونشر في جريدة المؤيد من بيان وجه الحاجة الى تعليم الدين وبيان الاستغناء عنه ومن قال بذلك من علماء الغرب



ومما يتشدق به المقلدون لأصحاب الآراء الفلسفية الناقصة قولهم إنه يمكن الاستغناء عن الدين بالتربية الأدبية العقلية المبنية على الاقناع بضرر الرذائل ونفع الفضائل كأن يقول المعلم للتلميذ ان الكذب قبيح ومقترفه محتقر بين الناس لا يوثق بقوله ولا يعتد بشهادته ولا بخبره وأن الخمر ضارة تذهب بالصحة والمال . ومن هؤلاء من يرى ان هذه الطريقة أفضل من طريقة الدين المبنية على التخويف من عذاب الآخرة لان في هذا التخويف من اضعاف النفس وإيقاعها في الاوهام مافيه على زعمهم

ومن أهل الدين الراسخ من سرى له شيء من اوهام المتفلسفة فصار يرى ان تعليم الدين والتربية عليه في الصغر ضار ولكنه يجب بعد بلوغ العقل أشده لان الدين عبارة عن فلسفة روحية والمبتدئ ليس أهلا لتلقي الفلسفة . . .

قد استعجل متفرنجو المسلمين جداً في جعل مسألة التعليم الديني محل بحث ونظر واستعجل المتفلسفة منهم في الحكم بأن الاقناع العقلي كاف في تهذيب الناشئين ومغن عن الاخذ بالدين أو خير منه فان أئمتهم من غلاة الملاحدة في أوربا لم يظفروا باقناع شعب من شعوبهم برأيهم هذا ولايزال جميع الاوربيين يقيمون بناء التربية والتعليم على أساس الدين على أن حاجتهم اليه دون حاجتنا لوجوه منها انتشار التعليم الأدبي والاقناعي في جميع طبقاتهم حتى ان بعض بلادهم لا يوجد فيها أمي ولا أمية ونحن عاجزون عن تعميم التعليم بدين أو بغير دين فهل من الصواب ان تجعل المتعلمين منا على قلتهم غير متدينين وهم القدوة لسائر الأمة ؟ أم الصواب ان يسعى هؤلاء النفر من المتفلسفة الى محو الدين من الأمة برمتها متعلميها وأميها ؟ وهل يظنون ان جميع أفراد الأمة يكونون حينئذ فلاسفة أو متفلسفين مثلهم يتركون الشرور لقيام الدليل العقلي على ضررها أو منافاتها للشرف ؟؟

فلا نجد أحداً من أصحاب هذا الرأي المتفلسف تاركاً للمعاصي والشرور لأنها ضارة بالمجتمع أو مخلة بالشرف ومن [illegible] ذلك [illegible] لا [illegible] باطناً الا من ترى منهم تربية دينية حقيقية [illegible] الفضائل [illegible] عجزت عن محوه نزغات الفلسفة الناقصة



يمكن ان يجمع للناشئ بين الاقناع والدين بأن يبين له ضرر الرذائل والمعاصي في سياق حكمة تحريمها وبيان محاسن الفضائل ومنافعها في سياق حكمة إيجابها أو استحبابها والا تعسر الاقناع أو تعذر لاختلاف الافهام في حقيقة الشرف والخير والشر والنفع والضر . فاذا قلت للناشئ : ان الزنا قبيح أو مخل بالشرف لا يمتنع ذلك ان اقنعه بأنه يأتيه سراً لأن أمر الشرف منوط بنظر الناظرين وعرفهم واذا قلت له انه خطر على الصحة لأنه مدعاة للإسراف أو مجلبة لبعض الأدواء لم يكن لقولك من التأثير ان أخذ بالتسليم الا العزم على الاقتصاد فيه والحذر من غشيان المصابات بالأدواء ويظن ان ذلك مما يسهل عليه وربما وجد من الناصحين من يقول له ان ترك ذلك العمل ضار بالصحة فكانت نصيحته أقرب الى القبول من نصيحتك . واذا قلت له ان لهذه الفاحشة غوائل اجتماعية كاختلاط الانساب

وقلة الفسل وإثارة الشرور بين المتازعين فيها عند المشاركة : فلا تطمع منه ان عقل قولك بأن يترك لذته الثائرة حبا بالمصلحة العامة ، ولكن أكثر الذين يتربون تربية دينية صحيحة لا يستحلون الفاحشة ويستهينون بها كما يفعل من فقدوا ذلك، وانك لتجد في كل بلد يدين أهله بحرمة هذه الفاحشة كثيرين يتقونها خوفاً من الله عز وجل على ضعف العلم بالدين وعدم التربية عليه، ولولا الخرافات التي زلزلت العقائد وشوهت وجه الاحكام كالاعتماد على الكفارات والشفاعات والغفران لكان وقوع هذه الفاحشة من المتدينين من النوادر

وقل مثل ذلك في الخمر فان المتعلمين على الطريقة التي يطلبها المتفرنجون والمتفلسفون اعرف من غيرهم بما فيها من الضرر وهم مع ذلك أكثر شربا لها من سواهم . وأضف الى ذلك جريمة القمار، وما فيها من المضار ، على ان المتفرنجين والمتفلسفين منا لا يحرمون بعقولهم هذه الموبقات الثلاث التي يجاهدها فلاسفة أوربا بعقولهم وعلومهم أشد الجهاد ويعدونها شر غوائل المدنية الأوربية وهي لا تزداد بالرغم منهم الا انتشارا

ان الجميع متفقون على [illegible] لا تعجز من اقناع الناشئين بتركه مهما قويت حجتهم من اضعف مرشد ديني وان لم يأت بحجة أو حكمة وراء النص وقصارى ما يبلغه قولهم من نفس من يقبله ان يحترس من الفضيحة بالكذب الجلي لا أن يتركه مطلقا

أما زعم المتفلسفين أن تربية الدين قد تضر بالعقل أو النفس بما فيها من من الارهاب والتخويف فهو زعم باطل لا يقوله الا من يجهل الدين والناس، وسنبين ذلك في فرصة أخرى

وأما القول بان الدين فلسفة لا ينبغي أن يتلقاه الا المتعلم المستعد لتلقي العلوم العالية فله وجه وفيه قصور فان الدين له طرفان طرف أدنى وهو الهداية العامة لكل مكلف وان أميا جاهلا، وطرف أعلى وهو كما قيل حكمة وفلسفة والصواب أن يعلم التلميذ في المدرسة الابتدائية ما يليق به من الطرف الاول ويترقى به تدريجا — يعلم في السنين الأولى مع القراءة بالحكايات عن الاشياء ان الله تعالى هو الذي اعطى

كل شيء خلقه ثم هدى فاذا كان موضوع درسه في النحل مثلا يذكر له بعد شرح ما يليق بفهمه من حالها وأعمالها ان الله تعالى هو الذي خلقها وألهمها أن تعمل لحفظ حياتها هذه الأعمال ويترقى به في ذلك . ويعلم مع الآيات على هذا النحو شيئاً وجيزاً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وآدابه ويذكر له أن الله تعالى ميزه هو وأمثاله من الانبياء بعلم خاص بهم دون سائر الناس يهدون به الناس الى الحق والخير كما ميز النحل بعلم خاص بها لا يشاركها فيه غيرها واما العبادات فيجب أن يتعلمها الناشئون بالعمل لا بالقول وكذلك العامة اتباعاً للسنة « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري وأما تعليم المبتدئين فلسفة السنوسي وأمثاله في الآلهيات كالصفات العشرين ، فهو من العبث الذي يعد جناية على الدين ، من يتقلده فاني معه أول المنتقدين ، والله على ذلك من الشاهدين ،

سألت أحد الفضلاء المتمسكين بالدين عن ولد له في الثانية عشرة أيصلي فقال لا أدعه يصلي الآن لانه لا يفهم معنى الصلاة واذا بلغ السن التي يفهم فيها معنى الصلاة فانه يصلي

هذا الوالد الذي يرى هذا الرأي من ابناء كبار الباشوات وقد تعلم في أوربا وتقلد بعض الاعمال العالية في الحكومة وهو يفهم من معنى الصلاة مالا يفهم اكثر أهل الازهر لأنه قرأ الاحياء قراءة استهداء ويقل فيهم من قرأه وكثير من مدرسيهم لا يعرف عدد اجزائه ولا رأى منها شيئا وهو على ما نعتقد غير مصيب . ولعمري انه ينبغي لمن يرى رأيا يخالف ما درجت عليه أمته أن لا يتعجل العمل به بل يبحث ويستشير ويناظر من يعلم أو يظن انهم أهل فيحث في ذلك لعله يرجع عن رأيه أو يمضي فيه على بينة تامة ولا يعتد في هذا المقام بتجربة الواحد والآحاد

نقول في الصلاة ما قلنا في الدين بجملته ان لها طرفا أدنى وطرفا أعلى ومن فوائد حمل الناشيء المميز على الصلاة تعويده الطهارة والوضوء ومنها توليد الشعور الاجمالي بالعبادة في قلبه وهذا شيء عرفناه بنفسنا ورأينا أثره في غيرنا ممن تربوا

تربية دينية فلا يصح لمن لم يذقه ان ينكره، ومنها تعويده المحافظة على المكتوبات في أوقاتها فان كل عمل يؤدى بنظام في أوقات معينة يحتاج فيه الى التعويد في الصغر فقلما يحافظ الانسان على عمل منتظم لم يتعوده وان هو اعتقد نفعه في الكبر فأنا اعتقد أن الرياضة البدنية من الضروريات لذي الاعمال العقلية مثلي واستحث عزيمتي للارتياض كل يوم فلا تواتيني الا في بعض الايام واني اعاتب نفسي منذ سنين على هذا الاهمال والتقصير ولو لم أكن مواظبا على الصلاة من الصغر لما بعد أن أترك بعض أوقاتها تكاسلا أو تأولا

ومن فوائد المواظبة على الصلاة قبل البلوغ أن المواظب عليها لايقع بعد البلوغ في مهلكة الشبان التي يعبر عنها كتاب العصر بالعادة المضرة وناهيك بشرورها ومضارها واذا هو اجترحها لا يفرط فيها فان لم يتركها لأنها محرمة امتنع من الاسراف فيها استثقالا لتكرار الغسل وهذا ضرب من ضروب نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر والناس عنه غافلون

﴿ تعليم الدين في المدارس الأميرية ﴾

بحث قوم في تعليم الدين بمدارس الحكومة فمنهم من قال بوجوب الزيادة فيه ومنهم من قال ان ما فيها كاف، ومنهم من قال انه لاينبغي ان يعلم الدين في المدارس وانما موضع تعليمه البيوت وهم يعلمون ان تعليم البيوت منوط بالنساء وان النساء المصريات لسن على شيء من علم الدين ولا من علم الدنيا الذي يؤخذ بالتلقين. وقد رددت الجرائد هذه الاقوال ولم أرفيما قرأته فيها بيانا صحيحا لما يجب أن يكون عليه هذا التعليم في هذه المدارس ولا في غيرها . وقد طلبت الجمعية العمومية من الحكومة التوسع في تعليم الدين بمدارسها فقررت نظارة المعارف زيادة دروسه في المدارس الابتدائية فانتقدت ذلك الجرائد التي لا يرضيها من الحكومة شيء ولم تبين ما هو الصواب . وعندنا أنه يجب ان يكون معظم هذه الدروس في سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم في سيرة الخلفاء الراشدين ان اتسع لها الوقت والا كانت عبثا

وقد وجد القبط فرصة في هذه الايام لطلب كان قد سبق لهم فلم يجب فطلبوه فأجيب الآن، وهو ان تعلم الديانة النصرانية في هذه المدارس أيضا . وقد عدت

إجابتهم الى هذا الطلب غريبة اذ لا يعهد تعليم دينين في مدارس حكومة من حكومات الأرض بل لا تسمح حكومة أوربية ان يعلم في مدارسها مذهب من مذاهب الديانة المشتركة بين أهل المملكة غير مذهب الحكومة أعني ان حكومة انكلترا التي تدين بمذهب البروتستانت لا تسمح لرعيتها من الكاثوليك ان يعلموا مذهبهم في مدارسها

وجم المسلمون لهذا العمل وكثر كلامهم فيه ولو خاضت الجرائد فيه لكان هو الشغل الشاغل للقطر كله ولكنها سكتت لما نعلم ويعلم سائر العقلاء العارفين بالمأزق التي وضعت فيه نفسها وقد سألني كثير من المتفكرين عن رأيي في ذلك وكان منهم بعض المدرسين في المدارس والأزهر فقلت ما حاصله : إن للمسألة وجها دينيا ووجها سياسيا فهي من الوجه الديني نافعة للمسلمين لأن التعليم الديني في المدارس كان نائما فهي توقظه أو كان ميتا فهي تنفخ فيه شيئا من روح الحياة . وأما من الجهة السياسية فهي ضارة بهم لأنها من أمارات كون الحكومة ليست إسلامية والذنب في هذا على أهل الشغب من المسلمين الذين أخذوا على أنفسهم مناصبة القوة المحتلة وإظهار العدوان لها ومحاولة إقناع الجمهور بذلك وبأن كل من يعمل معهم أو يعرفهم فهو عدو الوطن خائن الأمة ومن العجائب ان هؤلاء المشاغبين قد ظلموا اسم الاسلام والمسلمين إذ مزجوه بكلامهم وأدخلوه في سياستهم الأفينة حتى ظلموا المسمى لا بتعليم دين آخر في مدارس الحكومة فان هذا نافع له غير ضار به كما قلنا آنفا ولكن بما أحدثوا في نفوس الأوربيين من ان المسلمين يريدون الاجتماع باسم الاسلام لمقاومة سلطتهم في الشرق وهذا غير صحيح وإن تبجح بما يدل عليه طلاب المال والجاه باسم الاسلام ومصر وقد رأينا بوادر شرور سياستهم ونعوذ بالله من أواخرها

ويظن بعض الناس ان تعليم النصرانية في المدارس ربما يكون مثاراً للتعصب الديني الجاهلي ونظن انه لا خوف من ذلك . ويظن بعضهم أن هذا يكون سببا لترك التلاميذ من القبط لحضور دروس القرآن وحفظ ما يحفظ عادة منه وان ذلك يكون نقصا في اكتسابهم ملكة اللغة العربية وهذا معقول ولكن أكثرهم لا يتركون القرآن فيما أظن

# باب المناظرة والمراسلة

## ﴿ تاريخ المصاحف ﴾

بقلم الدكتور محمد توفيق افندي صدقي الطبيب بسجن طره

لما لهذا الموضوع من العلاقة الكبرى بجميع مباحثي في الاسلام التي سبق نشرها في المنار الاغر رأيت أن افيض القول فيه بما يزيل ماران على قلوب كثير من الناس من الشبهات والاشكالات التي يقذف بها المسلمين دعاة من المسيحيين لا يميزون بين الغث والسمين. ولايضاح المسألة إيضاحا تاما رأيت أن أضم مقدمة هامة، تمهيدا للبحث، ودعامة للفحص، فنقول: — غير خاف على أحد أن الأمة العربية قبل الاسلام كانت أمة أمية يقل فيها وجود من يعرف القراءة والكتابة معرفة جيدة، وكان جل اعتمادهم في حفظ ما يروونه من أنسابهم وأشعارهم وغيرها على حفظهم لها في صدورهم. ولم يعرف أنه كان عندهم كتاب ما من الكتب في أي موضوع كان [illegible] كتاب) أنه أي صحيفة مكتوب عليها من نحو الجلود أو العظام أو الحجارة أو الجريد، بل إن الصالح للكتابة من كل من هذه الاشياء كان لديهم قليلا ولذلك لم يستغنوا بنوع واحد منها عن باقيها، ولم يكن عندهم الورق الذي نعرفه الآن، وهذا اللفظ ما كان يطلق عندهم إلا على ورق الشجر وعلى رقاع من الجلود رقيقة، والاطلاق الاخير مستعار من الاول.

ولا نجد في اللغة العربية اسما خاصا بما يشبه ورقنا المعروف سوى لفظ واحد وهو (الكاغد) وهو فارسي معرب وقد ادخله العرب في لغتها بعد النبي صلى الله عليه وسلم فلذا لم يرد في كلامهم قبله عليه السلام ولا في عصره ولم يرد في أحاديثه ولم نسمع أنه كان مما يكتب عليه القرآن في حياته عليه السلام. والغالب أن هذا اللفظ دخل في اللغة العربية بعد فتح المسلمين لبلاد فارس. وأما لفظ القرطاس فهو أقدم في اللغة وورد في القرآن الشريف وكان معناه عندهم الصحيفة من الاشياء التي كانوا يستعملونها للكتابة ثم اطلقوه فيما بعد على الكاغد أيضا

حينما عرفوه وصاروا يسمون به كل ما يكتبون عليه من الصحف بعدا وأن ما ورد في كلامهم من لفظ ( كتاب ) كانوا يريدون به ما يطلق عليه في عرفنا اليوم لفظ (خطاب) أو جواب ومنه قوله تعالى في قصة سليمان (٢٧ : ٢٨ إذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ) ومنه كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ومثل الكتاب السفر والزبور والسجل والدفتر فإن معانيها كلها متقاربة وما كانوا يفهمونها كما نفهمها الآن . ولذلك لما جمع القرآن بعد النبي اختلفت الصحابة في ماذا يسمونه به وتوقفوا لأنهم لم يعهدوا مثله من قبل ثم استقر رأيهم أخيرا على تسميته بالمصحف تبعا لأهل الحبشة في تسمية مجموعاتهم بذلك والمصحف الكتاب بالمعنى الذي نفهمه نحن الآن عند الاطلاق لأنه مأخوذ من أصحف أي جمع الصحف . وكل صحيفة كتاب عند العرب كما ذكرنا . وكانت أيضا كتب بعض الامم غير العربية عبارة عن قطع من الجلود أو القماش يختلف عرض الواحدة منها من ١٢ الى ١٤ قيراطا وكانوا يلفونها على قضيب من الخشب ملصق بأحد أطرافها كما تلف الخرائط الجغرافية الآن . وهذا هو الذي ذكر في قوله تعالى (٢١ : ١٠٤ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) . ولا تزال التوراة مطوية كذلك عند السامريين الى اليوم

هذا الذي تقدم ليس خاصا بمشركي العرب بل يشمل أيضا أهل الكتاب منهم! ولذلك لا نسلم بوجود نسخة كاملة من التوراة أو الانجيل بيدهم كالنسخ الموجودة الآن . ولم يكن عندهم سوى أجزاء قليلة منهما مكتوبة على قطع متفرقة من الجلود أو العظام أو الخشب أو نحوه . فلذا وصفهم القرآن الشريف بقوله (٣ : ٢٣ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ) وخاطبهم بقوله ( ٥ : ١٥ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ) وقال فيهم (٥ : ١٣ ونسوا حظا مما ذكروا به ) وقال لهم ( ٦ : ٩١ قل من أنزل الكتاب ( ١ ) الذي

(١) حاشية الكتاب بالمراد بالكتاب في جميع هذه الآيات الوحي المكتوب بقطع النظر عن كيفية كتابته ووضعه كقوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه) وقوله ( كتاب أنزل اليك ) والقرآن حينئذ لم يكن تاما ولا مجموعا وإنما المراد ما كان يوحى في ذلك الوقت فيكتب

جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس ) أي صحفا متفرقة ( تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ) وقال أيضا ( ٢ : ٧٩ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم ) . وهذا كله يدل على أن كتبهم المقدسة ما كانت تامة ولا محصورة بين دفتين بحيث لا تقبل الزيادة ولا النقصان وإنما كانت مبعثرة في رقاع منثورة . وأن بعض صحفهم كان حقا والبعض الآخر كان باطلا . أما ما ورد في القرآن من نحو قوله تعالى ( ٥ : ٤٣ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ) فمعناه أن عندهم أجزاء من التوراة فيها حكم الله في المسألة التي تحاكموا فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكما يطلق لفظ القرآن ويراد به أجزاء منه كذلك يطلق لفظ التوراة أو الانجيل ويراد به بعضها أو أجزاء منهما . وهذه مسألة شائعة في القرآن الشريف وفي اللغة . ومن ذلك قوله تعالى ( ٢ : ١٨٥ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ) أي بعضه أو جزء منه



قدمنا لك هذه القضية لتعلم أن العرب ما كانت تعرف الكتاب ولا الورق بمعنييهما عندنا . وأوضحنا لك فيها درجة معرفتهم القراءة والكتابة . وذكرنا لك ما كانوا عليه يكتبون

بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيهم وحالتهم كما علمت وأوحى اليه هذا القرآن ليلقنهم إياه . فانظر ماذا فعل هذا الرسول الأمين ، حتى نشر بينهم الكتاب المبين ، على قوة ذاكرتهم واعتمادهم عليها في نقل أخبارهم وأشعارهم حتى أن كثيرا منهم كان يسمع الأبيات من الشعر أو القصيدة الطويلة تتلى عليه فيحفظها من أول مرة فداوم صلى الله عليه وسلم على حضهم على تلاوة القرآن وبالغ في حثهم على حفظه وضبطه . وفرض عليهم قراءته في الصلوات وبقي على هذه الحالة نيفا وعشرين سنة حتى كثر فيهم القراء وكانت السورة الواحدة يحفظها الالوف من الناس والقرآن كله يحفظه الكثيرون منهم ثم لم يكتف صلى الله عليه وسلم بذلك بل أمر بكتابته واختار طائفة منهم لكتابته له على ما تيسر لهم اذ ذاك من الجلود والعظام والجريد والحجارة وغيرها مما كانوا يعرفونه . وأكثر من ترغيبهم في

التعلم ومدح القراءة والكتابة نحو قوله « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » ومثل ذلك في الأحاديث كثير . وورد في القرآن الشريف أيضا قوله تعالى( ١:٦٨ ن والقلم وما يسطرون) وقوله (٨٦ : ٣ إقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ٤ علم الانسان ما لم يعلم ) وذم الله تعالى أهل الكتاب بقوله ( ٢ : ٧٨ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ) وألزم تعالى المؤمنين بكتابة الدين في الآية المشهورة في آخر سورة البقرة . وبذلك وجدت فيهم الرغبة في تعلم القراءة والكتابة وأخذ عدد الكاتبين بينهم يزداد شيئاً فشيئاً . وكتب كل ما نزل من القرآن كثير من المسلمين في عهده عليه الصلاة والسلام . ولم يمت إلا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات مكتوبة في السطور عند الكثير منهم محفوظة في صدور الجماهير و بعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعوا هو أيضا منهم والخلاصة أن النبي عليه السلام تبع أقرب الطرق لتعميم نشر القرآن المجيد بين جميع أفراد الامة العربية وعمل أحسن ما يمكن عمله بالنسبة لمعلوماتهم وحالتهم .



سمت نفوسهم بعد ذلك الى ما عاشوا فيه واستعدت للرقي . فلما كثر اختلاطهم بمن جاورهم من الامم أخذوا ينقبون ويفتشون في أحوالهم بعيون مبصرة وعقول مفكرة كي يعثروا على جديد يقتبسونه أو إصلاح الى بلادهم يسوقونه فبصروا بما لم يبصروا به من قبل . ووجدوا أن لتلك الامم طريقة اخرى في تدوين معلوماتهم لم تكن تخطر على بالهم . وهي أن يكتبوها على صفحات صحف من نوع واحد ، يضمون بعضها الى بعض مرتبة على حسب ترتيب عباراتها وربما رأوا أنواعا اخرى من القرطاس أحسن من التي كانوا يعرفونها كأوراق البردي بمصر مثلا

دعاهم داعي الفزع عند قتل سبعين من القراء يوم اليمامة إلى المبادرة والاسراع في جمع القرآن على طريقة تلك الامم خوفا عليه من الضياع من تلك الرقاع المختلفة الانواع فعقدوا في الحال اجتماعا واستقر رأيهم اجماعا على العمل على تلك الطريقة وهكذا جمع القرآن ووجد بين العرب أول كتاب بالمعنى الذي نفهمه نحن الآن وتحقق وعد الرحمن ( ٩:١٥ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

لحافظون) اختلف المسلمون في ترتيب سور القرآن وطرق قراءته . وتبع ذلك اختلاف مصاحفهم لأن الرسول لم يلزمهم باتباع ترتيب مخصوص في السور . ولم يجمعهم على قراءة واحدة . سور القرآن كل منها ككتاب قائم بذاته كما قال تعالى (٩٨ : ٢ رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) فليس ثم فائدة كبيرة في التزام ترتيب مخصوص ولفظ (سورة) مأخوذ من سور المدينة سميت به القطعة المخصوصة من القرآن لأنها طائفة مستقلة بذاتها . فكأنه صلى الله عليه وسلم ترك بين المسلمين ١١٤ كتابا كل منها محفوظ مكتوب مرتبة آياته . وجمعها بالطريقة الحاضرة لم يكن معروفا في عهده وإنما حدث بعده بقليل وإن كانت في زمنه مجموعة عند بعضهم في الصحف المتنوعة التي ذكرناها

أما اختلاف القراآت فهو نوعان : اختلاف بسبب اللهجات كالامالة وعدمها واختلاف آخر في الكلمات كتغيير شكلها أو إعرابها أو بعض حروفها أو نحو ذلك . ولكل من النوعين فوائد . ففوائد الاختلاف بسبب اللهجات هي (١) تسهيل نطقه وفهمه وحفظه لقبائل العرب المختلفة (٢) إظهار أنهم عاجزون جميعا عن الاتيان بمثل سورة منه كما تحداهم بذلك ولو بلهجاتهم المختلفة وأن عجزهم عن المعارضة ليس ناشئا عن نزوله بلهجة واحدة لا يعرفها كثير منهم . وفوائد اختلاف الكلمات هي (١) تسهيل حفظه على كل أحد . وبيان ذلك أن من أراد حفظ القرآن كثيرا ما يسبق لسانه بنطق مخصوص . فاذا علم أن هذا خطأ جاهد نفسه لتقويم لسانه ولكن اذا علم أن قراءته جائزة لم يحتج الى هذا العناء مثلا اذا أراد أن يحفظ قوله تعالى (٨٩ : ١٧ كلا بل لا تكرمون اليتيم ١٨ ولا تحاضون على طعام المسكين) قد يسبق لسانه ويقول (كلا بل لا يكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين) فيجهد نفسه في العدول عن ذلك ولكنه إذا علم أن هذه قراءة جائزة لا يحتاج إلى التعب . وهذا الأمر يدركه جيدا من عانى حفظ القرآن الشريف . ومن ألزم باصابة غرض واحد لا غير ليس كمن أبيح له إصابة أي غرض من بين بضعة أغراض . ولا تنس ما للتسهيل حفظ القرآن على الأمة من الفوائد فانه أعظم طريقي القرآن في نقله وروايته وخصوصا في الأزمنة القديمة وبين الأمم الساذجة (٢) تكثير

المعاني. فبتعدد القراآت تكثر المعلومات وتزداد الفوائد. وقد يكون بعض المعاني مبينا لبعض الآخر (٣) تخفيف بعض الأحكام فمثلا قوله تعالى في آية الوضوء (٥: ٦ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) بالكسر يفهمنا أن الغسل المفهوم من قراءة الفتح غير واجب على التعيين وأن المسح يكفي

فلهذه الاسباب ولغيرها كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرىء المسلمين القرآن بأوجه مختلفة ولذلك قال كما تواتر عنه (أنزل القرآن على سبعة أحرف) الحديث ولفظ السبعة تستعمله العرب أحيانا للمبالغة في الكثرة فيحتمل أن يكون هذا هو المراد هنا أو أن المراد سبع لهجات العرب الشهيرة وهو لا ينافي أن هناك قراآت أخرى غير اللهجات إذ لفظ الحديث لا يفيد الحصر

وقع الخلاف بين المسلمين في هذه القراآت الى أن اشتد في زمن عثمان رضي الله عنه اذ كان بعضهم اذا تلقى قراءة وسمع من غيره ما يخالفها نازعه في ذلك واتهمه بالتحريف فخشي أن يحصل بينهم من الاختلاف في القرآن ما حصل بين أهل الكتاب، ورأى أن يجمع المسلمين على مصحف واحد ينسخون عنه ويرجعون اليه في ضبط مصاحفهم حتى لا يكون فيها اختلاف ولا تكثر فيها هذه القراآت وأخبر جمهورا عظيما من أصحاب رسول الله بذلك فوافقوه على رأيه فأمر بكتابة المصحف على طريقة قريش في الرسم وكان الكتاب فريقا من الصحابة أيضا. فكتبت عدة مصاحف بهذه الطريقة بعد التحري والتدقيق ومراجعة ما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ وإن كان الكاتبون هم أيضا من الحفظة ثم أرسلت هذه المصاحف إلى الآفاق التي انتشر فيها الاسلام وفيها الجماهير من الصحابة ومن أخذ القرآن عنهم حفظا وكتابة. فوافقوا جميعا على استعمالها والتعويل عليها وأعدموا غيرها مما عندهم - وكان ذلك بعد وفاة النبي بخمس عشرة سنة (أي سنة ٢٥ هجريه)

هذا ومن علم طباع العرب وغلظها وشدة إيمانهم وتمسكهم بدينهم، وعرف ما كان عليه الخلفاء الراشدون من الاخلاق وأنهم ما كانوا ليستبدوا بالامر في شيء حتى لو ارادوه لما قدروا عليه — وعرف حال عثمان وسبب قتله، من عرف ذلك

كله أيقن أنهم لو كانوا وجدوا في مصاحف عثمان عيبا لرفضوها ولاثيرت حروب وأريقت دماء وكان دم عثمان في أولها ولارتد كثير من الناس عن الاسلام لهذا السبب ولعاب المسلمين بتحريف القرآن من خالطهم أو دخل فيهم من أهل الكتاب وغيرهم ولما اتفقوا جميعا على قبول هذه المصاحف ولوجدت مصاحف مختلفة بينهم الى اليوم . فعدم حصول شيء من ذلك يدل على أن هذه المصاحف هي عين ماتلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصوصا لأن الذين تلقوها بالقبول ما كانوا جاهلين حرفا واحدا من القرآن بل كانوا حافظين له حفظا جيدا في الصدور من قبل وجود هذه المصاحف وكثير منهم كانوا ممن تلقوه كله أو بعضه مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

هذه المصاحف العثمانية لم تكن منقوطة ولا مشكولة ورسمها في كثير من المواضع يخالف ما اصطلح عليه الناس فيما بعد من قواعد رسم الكلمات العربية . ولكن جرى المسلمون على تقليد هذا الرسم في جميع بقاع الارض بل على مخالفة بعضها وضعوه من القواعد لمخالفة قليلة منهم عن عمل الصحابة رضوان الله عليهم وتحاشيا لعمل أي تصحيح أو تحوير في المصاحف ولم يخرجوا عنه الا في الازمنة الأخيرة في كلمات قليلة كتبوها على مقتضى طريقتهم . على أن أكثر مصاحفهم لا يزال إلى اليوم كالكتبة الأولى لكنها في الغالب منقوطة مشكولة

أما القراآت فاستمرت مختلفة بين المسلمين إلى وقتنا هذا فهم وإن كانوا أجمعوا على المصاحف العثمانية إلا أن القراآت التي كانوا يقرؤن بها من قبل — هي وكانت غير مخالفة للرسم العثماني مخالفة يعتد بها — استمروا على القراءة بها فيما عدا أما التي تخالفه فأخذت تتلاشى من بينهم شيئا فشيئا . وعليه فوجود المصاحف العثمانية أفاد المسلمين ثلاث فوائد (الأولى) إجماعهم على مصحف واحد في الكتابة (الثانية) تقليل الاختلاف بينهم في القراءة (الثالثة) اتفاقهم على ترتيب مخصوص للسور ولعل هذا الترتيب كان يستحسنه الرسول وإن لم يوجبه كما سبق

تواتر من هذه القراآت المختلفة سبع روى كلا منها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجم الغفير من أصحابه وأخذ عنهم في البقاع المختلفة الجماهير من التابعين

فأخذ عنهم من بعدهم وهكذا الى اليوم . وهـذه القرآآت المتواترة يحتملها رسم المصاحف ولا تخالفه كما قلنا مخالفة يعتد بها أو صريحة اذا جردت من النقط والشكل كما كانت

اشتهر بين التابعين ومن تبعهم أناس باتقان هذه القرآآت وتعليمها لغيرهم فنسبت اليهم وسموا أئمتها وان كانت متواترة بين المسلمين في جميع البلاد وهؤلاء هم عبد الله بن كثير بمكة وعبد الله بن عامر بالشام وعاصم بالكوفة وكذلك حمزة والكسائي ونافع بالمدينة وأبو عمرو بن العلاء بالبصرة وفيهم الثلاثة الاول تابعيون

بقي المصحف غير منقوط ولا مشكول الى أن كثرت الأعاجم واختلطت بالعرب ففشا فيهم اللحن حتى اضطروا الى ضبطه فكان أول من وضع عليه الضبط أبو الاسود الدولي في أوائل حكم بني أمية وكان ضبطه أن يضع نقطة فوق الحرف ان كان مفتوحا وتحته ان كان مكسورا وبجانبه ان كان مضموما واستمرت الحال على ذلك الى زمن الخليل بن أحمد النحوي المشهور فوضع للمصحف شكلا آخر كان أساسا للشكل الحالي الذي هو علامات حروف وكانت وفاة الخليل هذا سنة ١٧٠ للهجرة

أخذت طرق كتابة المصاحف تتحسن شيئا فشيئا الى أن اخترعت المطابع فطبع أول مصحف في مدينة همبورغ بألمانيا سنة ١٦٩٤ للميلاد أي في أوائل القرن الثاني عشر الهجري وبعد ذلك انتشرت المصاحف المطبوعة في العالم وحلت محل المنسوخة باليد وقد أخذوا الآن يرسمونها بواسطة المصورات الشمسية ( الآلات الفتوغرافية ) وهكذا حفظ الله تعالى كتابه حتى وصل الينا بدون تحريف ولا تبديل . وكان المصحف في جميع هذه الأطوار المختلفة التي وصفناها لك مهيمنا عليه بآلاف الالوف من الحفظة في جميع البقاع الاسلامية ولا تزال الحال كذلك الى عصرنا هـذا مع ضعف المسلمين وتأخرهم . ومن عجيب عناية الله بهـذا الكتاب المجيد أن قيض لنا اليوم في مصر من يحثنا من غير أهل ديننا ومن غير جنسنا على تعميم الكتاتيب في جميع الاقاليم من بعد أن ظننا أن زمن الحفظة انقضى أو كاد ينقضي من بيننا فأجيب دعاء الداعي الى ذلك وانتشرت الكتاتيب في البلاد وكثرت الحفاظ مرة اخرى وتجدد عندنا الوف من الاطفال يحفظونه

كله في صدورهم فضلا عن الرجال والشيوخ

نظرنا في هذا الكتاب المتواتر عن صاحبه نظرة فأيقنا بسببه بدون نظر الى أي شيء سواه من صدقه عليه السلام في دعواه وأنه مبلغ عن الله ( راجع مقالنا الدين في نظر العقل الصحيح ). ثم وجدنا فيه ان الله يقول (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) فعلمنا أن كل رواية يفهم منها أن القرآن ضاع منه شيء لابد أن تكون موضوعة مدسوسة وان لم يتضح هذا الامر من سندها لانها تنافي ذلك القول المتواتر عن النبي الصادق . على أن جميع هذه الروايات منقولة عن الآحاد وقد اتضح كذب كثير من رواتها وهي أيضا معارضة بأمثالها كالذي روي عن ابن عباس رضي الله عنه في صحيح البخاري أنه قال « ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين الدفتين » وناهيك بابن عباس ثقة في هذا الموضوع . وقد أجمع المحققون من المسلمين أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر فما زعم الآحاد أنه كان قرآنا وضاع أو نسخ لا يقبل منهم ( راجع مقالتنا في الناسخ والمنسوخ ) فقد وجد بين الرواة من هو ضعيف الفهم أو سخيف الرأي أو كذوب يريد تشكيك المسلمين في دينهم أو يريد أن يؤيد دعوى أو مذهبا له بأمثال هذه الروايات ولكن العقلاء لا يقبلونها لئلا يؤديهم ذلك الى رفض المتواتر فيكونوا ممن يرجع الدلالة الظنية على الدلالة المقطوع بها ومن كان كذلك كان من الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

بقي علي نقطة واحدة في هذا الموضوع لا بد لي من الكلام عليها قبل الانتهاء منه وهي دعوى بعض الجهلة الغافلين أن في القرآن لحنا ويذكرون من ذلك قوله تعالى ( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى الآية )وقوله ( لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ) لان مقتضى الظاهر نصب الصابئين ورفع المقيمين الصلاة طبقا لقواعد النحو المعروفة. وما مثلهم في هذه الدعوى الا كمثل تلميذ في مكتب سمع من استاذه بعض نظريات يفسر بها ظواهر وجودية طبيعية فظن أنه عرف كل شيء وأن استاذه لا تخفى عليه خافية وبعد ذلك رأى في

الوجود شيئاً يخالف ما وضعه له المعلم من القواعد فصاح قائلا : الطبيعة أخطأت ، النظام اختل ، الكون فسد لانه خالف قواعد استاذي ؛ وما درى أن عقله في الحقيقة هو الذي اختل وفسد فكذلك شأن هؤلاء القوم . القرآن ينبوع الفصاحة والبلاغة وحجة اللغة الناهضة وهو أساس ما وضع من القواعد النحوية بعده فلا يليق أن نلزمه بالجري عليها وأن نجعلها أصلا له ونحكم بخطأه إذا هو خالفها بل الواجب إذا لم ينطبق شيء منه على بعضها ان نعلم أنها معيبة أو أنها غير وافية بالغرض في بعض المسائل لعدم احكام وضعها هذا اذا لم يمكن التطبيق . وما من لغة الا وفي أشهر كتبها القديمة وأبلغها ما يخالف ما وضع من القواعد فيما بعد حتى يضطر الواضعون الى استثنائه أو تطبيقه عليها بوجه مّا وكذلك فعل علماء اللغة العربية في أمثال هذه الآيات حتى أجروها على قواعدهم كما هو مبين في التفاسير ولا حاجة بنا لنقل ذلك هنا لعدم أهميته .

فان قيل نحن لانقول ان هذا الخطأ كان في أصل القرآن وانما هو من نساخ المصاحف في زمن عثمان قلنا لو كان من الناسخ [illegible] الفصحاء القحّ فكيف يمضون في هذا الخطأ ويتفقون عليه في جميع المصاحف التي كتبوها وأرسلوها الى الأقطار الاسلامية بحيث لا يوجد مصحف واحد خالياً من الغلط في هذه الآيات بعينها ؟ وكيف تتفق الحفظة في جميع الأزمنة على قراءة هذه الألفاظ المتنازع فيها كما كتبت في المصاحف مع العلم بأن القرّاء انما ينقلون قراءتهم عمن قبلهم بقطع النظر عن مرسوم الخط وعما وضع من القواعد النحوية وقد توارثوا هذه القرآت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل وجود مصاحف عثمان كما بينا ذلك فيما سبق ؟ ومن علم عناية المسلمين بالتجويد وضبط القرآت واحكام نطق اللهجات المختلفة وأنهم لا يأخذون ذلك من الكتب بل بسماع من أتقنها ممن تقدمهم ، علم فساد أمثال تلك الانتقادات الباردة وسقوطها

وصفوة المقال أن القرآن وصل الينا بدون تحريف حرف واحد منه أو تبديله فهو مكتوب اليوم كما كتبه الصحابة أنفسهم مقروء كما قرأه النبي صلى الله عليه وسلم . ولا نعرف كتاباً آخر في الدنيا بلغت العناية به من أهله مبلغها

بالقرآن فان الكتب الأخرى التي نعرفها لا يخلو كتاب منها من الوصمات الآتية كلها أو بعضها (١) أنها لم تكتب في زمن الآتي بها أو لم يعرف باليقين من هو (٢) لم تحفظ في الصدور لا من العامة ولا من الخاصة (٣) لم تكن نسخها كثيرة في أغلب الأزمنة القديمة لم تكن في أيدي العامة (٤) رواها الآحاد واختلفت رواياتهم (٥) فقدت وانقطع سندها اما بسبب الارتداد العام من أصحابها أو بسبب الاضطهادات الشديدة وقصد الاعداء ابادتها واحراقها (٦) وجد أمثالها معارضا لها وكثير منها لا يرجح عليها بزيادة في قوة اسناده (٧) وجود بعض فقرات فيها تدل على بطلان النسبة الى من نسب اليه الكتاب (٨) مملوءة بخط النساخ (٩) مملوءة بالتناقض والزيادة والنقصان والتبديل (١٠) وجود الاختلافات بين نسخها قديماً وحديثاً (١١) اختلاف الطوائف في قبول بعضها أو رفضه بل اختلاف الطائفة الواحدة في قبول بعض الكتب أو ترجيحها في بعض الأزمنة ورفضها في الأخرى (١٢) وجود ما يقطع بعدم صحته فيها والغلطات التاريخية والعلمية وغيرها واشتمالها على ما يأبى [illegible] (١٣) ووجود كثير من اللغو فيها ومالا فائدة فيه وما يناقض البراهين العقلية القطعية (١٤) وجودها منذ أزمنة بعيدة وخلو أهلها اذ ذاك من العلم والتحقيق والتمحيص (١٥) منادة مخالفيهم في الأعصر الأولى بأنهم يحرفون كتبهم ويبدلونها ويغيرونها كما جاهر بذلك سكسوس الفيلسوف الشهير فهذه خمسة عشر وصمة تتقدبه تلك الكتب وجميعها يتنزه عنها القرآن الشريف . وقد ذكرت عدة من شواهدها بالايجاز في رسالتي التي نشرت سابقاً في المنار . ومن أراد الايضاح فعليه بالكتب المؤلفة في هذا الشأن اسلامية كانت أو غيرها عربية أو أفرنجية . والسلام على من اتبع الهدى

(المنار) ذكرنا هذه المقالة بكتاب تاريخ القرآن والمصاحف الذي يؤلفه صاحبنا موسى افندي جار الله الروسي وانا وعدنا عند ذكره في آخر جزء من السنة الثامنة بالعودة الى تقريظه وكنا نسينا الكتاب والوعد وقد أوضح مسألة جمع القرآن وأطال في بيان حفظه وعدم ضياع شيء منه وسننقل منه ذلك في الجزء الآتي

الثياب اليك ومتوقد بعدها عليك قال اللص وماهذه الحصلة قال القاضي تمضي معي الى البستان فأتوارى بالجدران واسلم اليك الثياب وتمضي على المسار وتحابي قال اللص سبحان الله تشهدلي بالعقل وتخاطبني بالجهل ¤ ويحك من يؤمنني منك ان يكون لك في البستان غلامان جلدان علجان ذوا سواعد شديده وقلوب غير رعديده يشداني وثاقاً ويسلماني الى السلطان فيحكم فيّ آراءه ويمضي عليّ بما شاء· قال له القاضي لعمري انه من لم يفكر في العواقب طيش له الدهر بصاحب وخليق بالرجل من كان السلطان له مراصدا وحقيق باعمال الحيل من كان لهذا الشأن قاصدا وسبيل العاقل ان لايغتر بعدوه بل يكون منه على حذر ولكن لاحذر من قدر ولكن احلف لك أليّة مسلم وجهد مقسم انى لا أوقع لك مكرا ولا اضمر لك غدرا قال له اللص لعمري لقد حسنت عبارتك وعقتها وخشنت اشارتك وطبقتها ونثرت خبرك على فخ ضربك وقد قيل في المثل السائر على ألسنة العرب الحزم حزم ما وعد ادرك الاسد قبل ان يأتي على الفريسة لحياه ولا يعجبك من عدو حسن محياه وانشد

لاتخدش وجه الحبيب فانا · قد كشفناه قبل كشفك عنه
واطلعنا عليه والمتولي · قطع اذن الحمار اصبر منه

ألم يزعم القاضي انه كتب الحديث زمانا واتى فيه كهولا وشبانا حتى فاز بيكره وعونه وحازمنه معنى متونه وعيونه قال القاضي أجل قال اللص فاي شيء كتبت في هذا المثل الذي ضربت لك فيه المثل واعملت الحيل قال القاضي ما يحضرني في هذا المقام الحرج حديث أسنده ولاخبر اورده فقد قطعت هيبتك كلامي وصدعت قدمتك نظامي فلساني كليل وجناني عليل وخاطري نافر ولبي طائر قال اللص فليسكن لك وليطمئن قلبك اسمع ما اقول وتكون ثيابك حتى لاتذهب ثيابك الا بالفوائد قال القاضي هات قال اللص حدثني ابي عن جدي عن ثابت البناني عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يمين المكره لا تلزمه فان حلف وحنث فلا شيء عليه » وانت ان حلفت حلفت مكرها وان حنثت فلاشيء عليك انزع ثيابك قال القاضي ياهذا قد اعيتني مضادة

جنانك وذرابة لسانك واخذك على الحجج من كل وجه وجانب واتيت بالفاظ كأنها السم المقارب اقم ههنا حتى امضي الى البستان واتوارى بالجدران وانزع ثيابي هذه وادفعها الى صبي غير بالغ تنتفع بها انت، ولا اهتك انا، ولا تجري على الصبي حكومة لصغر سنه، وضعف منته، قال اللص: يا انسان قد اطلت المناظرة، واكثرت المحاورة، ونحن على طريق ذي غرر، ومكان صعب وعر، وهذه المراوغة لا تنتج لك نفعا، وانت لا تستطيع لما ارومه منك دفعا، ومع هذا فتزعم انك من أهل العلم والرواية، والفهم والدراية، ثم تبتدع وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الشريعة شريعتي والسنة سنتي فمن ابتدع في شريعتي وسنتي فعليه لعنة الله » قال القاضي يا رجل وهذا من البدع؟ قال اللص: اللصوصية بنية بدعة، انزع ثيابك فقد أوسعت من سانة مجالك، ولم اشدد عقالك، حياء من حسن عبارتك وفقه بلاغتك، وتقدمك في المناظرة، وصبرك تحت المناظرة، فنزع القاضي ثيابه ودفعها اليه وابقى السراويل فقال اللص: انزع السراويل كي تتم الخلعة، قال القاضي: يا هذا دع عنك هذا الاعتساف ... انك قد اخذت ... وخل السراويل فانها لي ستر ووقاية، لا سيما وهذه صلاة الفجر قد ازفت بحضورها، واخاف تفوتني فاصليها في غير وقتها وقد قصدت ان افوز بها في مكان يحبط وزري ويضاعف اجري ومتى منعتني من ذلك كنت كما قال الشاعر

ان الغراب وكان يمشي مشية　　فيما مضى من سالف الاحوال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها　　فلذاك كنوه ابا المرقال

قال اللص: القاضي ايده الله تعالى يرجع الى خلعة غير هذه احسن منها منظرا واجود خطرا، وانا لا املك سواها ونشء لم تكن السراويل في جملتها ذهب حسنها وقل ثمنها لا سيما التكة مليحة وسيمة، ولها مقدار وقيمة، فدع ضرب الامثال واقنع عن ترداد المقال، فلست ممن يرد بالمحال، ما دامت الحاجة ماسة الى السروال ثم انشد

دع عنك ضربك سائر الامثال　　واسمع اذا ما شئت فصل مقالي
لا تطلبن مني الخلاص فانني　　أقني متى ما جئتني بسؤال

ولأنت ان ابصرتني ابصرت ذا قول وعلم كامل وفعال
جارت عليه يد الليالي فانثنى يبغي المعاش بصارم ونصال
فالموت في ضنك المواقف دونان ألقى الرجال بذلة السآل
والعلم ليس برافع اربابه اولا فقد مسه على البقال

ثم قال الم يقل القاضي انه يتفقه في الدين، و يتصرف في فتاوي المسلمين ؟ قال القاضي اجل ،قال اللص: فمن صاحبك من ائمة الفقهاء ؟ قال القاضي: صاحبي محمد بن ادريس الشافعي ، قال اللص: اسمع هذا ونكون بالسراويل حتى لا تذهب عنك السراويل الا بالفوائد قال القاضي اجل يالها من نادرة ما اغربها وحكاية ما أعجبها قال حدثني أبي عن جدي عن محمد بن ادريس برفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة العريان جائزة ولا اعادة عليه » تأول في ذلك غرقى البحر اذا سلموا الى الساحل فنزع القاضي السراويل وقال خذها وانت اشبه بالقضاء مني، وانا اشبه باللصوصية منك يا ابن ادريس على اخذ ثيابي موطأ مالك وكتاب المزني ومديده ليدفعه اليه فرأى الخاتم في اصبعه اليمنى فقال انزع الخاتم فقال القاضي ان هذا اليوم ما رأيت انحس منه صباحا ولا اقل نجاحا ،ويحك ما اشرهك وارغبك ، واشد طلبك وكلبك ، دع هذا الخاتم فانه عارية معي وأنا خرجت ونسيته في أصبعي فلا تلزمني غرامته . قال اللص: العارية غير مضمونة مالم يقع فيها شرط عندي ومع ذلك اعلم بزعم القاضي انه شافعي قال نعم قال اللص فلم تختمت في اليمين قال القاضي إهذا مذهبنا قال اللص صدقت الا انه صار من شعار المضادين قال القاضي فانا أعتقد ولاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وتفضيله على كل المسلمين من غير طعن على السلف الراشدين وهذا في الأصول اعتقادي وعلى مذهب الشافعي في الفروع اعتمادي فاخذ اللص في رد مذهب الرفض وجرت بينهما في ذلك مناظرة طويلة رويناها بهذا الاسناد انقطع فيها القاضي وقال بعد ان نزع الخاتم ليسلمه اليه خذ يافقيه يامتكلم ياأصولي ياشاعر يالص اه ( من طبقات الشافعية الكبرى )

## ﴿ شرح عقيدة السفاريني ﴾

للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي (رحمه الله تعالى) عقيدة منظومة اسمها « الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية » بلغني أن الشيخ حسنا الطويل (عليه الرحمة) قال لما اطلع عليها ما معناه ان هذه أول عقيدة اسلامية اطلعت عليها، ولناظمها شرح مطول عليها سماه « لوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية » جمع فيه المؤلف أقوال السلف والخلف ومذاهب الفرق في مسائل الاعتقاد وبين رجحان مذهب السلف على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل النقلية وكذا العقلية فيما يستدل على مثله بالعقل واقتبس جل تحقيقاته فيمن كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم عليهما الرحمة والرضوان · فجاء كتابا حافل الري، جامعا لما لم يجمعه غيره من المأثور والمروي، كثير الفوائد، جم الأوابد والشوارد، لا يكاد يستغني عنه طالب السعة والتحقيق في العقائد الاسلامية، أو محيط بما في كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية - نعم انه ينكر عليه كثرة الروايات والأقوال المأثورة في أشراط الساعة ونحوها من المسائل التي ليست من العقائد الدينية ومنها ما لا يصح له سند ولكن من يعلم أنه لا يجب عليه ان يعتقد ما لا يقوم عليه البرهان لا يضره ايراد ذلك وقد ينفعه الاطلاع على تلك الاقوال فيستخرج من مجموعها ما يحق الحق و يبطل الباطل ·

وجملة القول ان هذا الكتاب لا يستغنى عنه بشيء من كتب العقائد التي يتداولها طلاب العلم وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان، ليس فيها بيان لمذهب السلف يجلي حقيقته، و يوضح طريقته، بل فيها ما يشعر بأن مذهب السلف هو التمسك بالظواهر من غير فهم ثاقب، ولا علم راسخ، وان الخلف أعلم منهم وهيهات هيهات لذلك بل السلف افهم وأعلم وأحكم وما خالف المتكلمون فيه السلف فهو جهل مبين أو نزغات شياطين و بمثل هذا الكتاب تعرف ذلك

رغب في نشر هذا الكتاب بعض محبي العلم والدين من العرب الكرام المخلصين فأرسل الينا نسخة خطية منه فطبعنا له عنها عددا معينا جعله وقفا لله تعالى يوزع

على طلاب العلم السلفيين في بلاد مختلفة وطبعنا منه على نفقتنا طائفة من النسخ زيادة عن النسخ الموقوفة باذن الطابع الواقف وهي تباع بمكتبة المنار بشارع درب الجاميز بثمن قليل بالنسبة لحجم الكتاب وحسن ورقه وطبعه

جمل الكتاب جزآن صفحات الأول ٣٨٨ والثاني ٤٤٨ ووضعنا له فهرسا مرتبا على حروف المعجم لتسهيل مراجعة فوائده الكثيرة المطوية في مباحثه المختلفة وجدولا للخطأ والصواب فدخل ذلك مع ترجمة المؤلف في ٢٨ صفحة فمجموع صفحات الكتاب ٨٦٤ وورقه كورق المنار وثمن النسخة منه غير مجلدة عشرون قرشا صحيحا ماعدا أجرة البريد

## ﴿ الوجيز في القانون الجنائي ﴾

عمر بك لطفي من اشهر علماء القوانين في هذه الديار أتقنها علما وتعليما وعملا فقد كان مدرسا بمدرسة الحقوق زمنا طويلا والآن تحتسبه مدرس شرف فيها وهو الآن يشتغل بالمحاماة وبتدريس القانون الجنائي بمدرسة البوليس ٠ وقد ألف في هذه الايام كتابا في القانون الجنائي سماه الوجيز فحسبنا في تقريظه ان نقول انه من تأليفه ... طلاب المدرستين — الحقوق والبوليس — عليه بطلبه وإيداعه ما القاه من الدروس عليهم

طبع الجزء الاول من الكتاب على ورق جيد فكان ٣٧٨ صفحة وثمن النسخة منه ثلاثون قرشا وهو يباع في ادارة مجلة المجلات العربية وفي المكاتب الشهيرة

## ﴿ لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر ﴾

ألف ميخائيل افندي بن أنطون الصقال الحلبي كتابا سماه «لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر أو الغاية في البداءة والنهاية» وهو كتاب خيالي الوضع ادبي المغزى من احسن ما كتب أهل هذا العصر عبارة وموضوعا، تقرأ الصفحات منه ولا تكاد تعثر بشيء من الأغلاط التي اعتادها كتابنا عامة وأهل الصحف منهم خاصة، ولا تقف عند معنى ينكره الادب الصحيح، أو يمجه الذوق السليم وفي بعض فصوله كثير من مفردات اللغة التي يحتاج اليها الكتاب وهم في غفلة عنها لقلة بحثهم واطلاعهم في الغالب. وقد طبعه وجعل ثمنه ريالا واننا نورد لك فصلا منه في تربية الطفل قال:

## ﴿ الفصل الاول من الباب الرابع ﴾

### « في الطلق والولادة وتربية الطفولة »

قال والدي : كل امرأة عندنا ( أي في الزهرة ) خصوف ( ١ ) لاتجر ( ٢ ) ولدها ، وهي تأكل وتشرب وتضحك لاتشكو ولاتئن ولا تتوجع شكوى وابن وتوجع بني آدم بل تضع كأنها تمغص مغصا ليس بشديد ، لاتحتاج الى قابلة لانها لايهددها خطر ، اننا لانظائر ( ٣ ) لاننا نقول من رضع غير أمه فقد تخلق باخلاقها ، ان المرأة يعد ان تحجم للمولود أي بعد أن ترضعه أول رضعة ترضعه في كل ساعة حترتين ( والحترة الرضعة الواحدة ) حتى اذا بلغ الشهر السادس من عمره ارضعته في كل ثلاث ساعات مرة فاذا زادت منعت وعدت جاهلة بين نسائنا وهذا يحدث قليلا أو لايحدث ، لاتحجوه ( ٤ ) ولاتجدعه ( ٥ ) ان المرضع عندنا لاتأفل ( ٦ ) والرضيع لايحصأ ( ٧ )

لا تضع الام ولدها في سرير يهز ، فقد عرفنا أنه ينجم عن اخطار عظيمة وربما كان سبب هلاك الطفل منها ان الاهتزاز الشديد يؤثر في مجموع عصبه ويحدث له القيء وغير ذلك من الامراض ، هذا اذا كان [illegible] فاذا كان عليلا متألما من حالة عصبية دماغية أو معدية أوغيرها ازداد تألما بالهز وتمكنت منه العلل



وقد علم ان كثيرين اصيبوا منه بالشوص والحول هذا اذا لم يسقط الطفل من سريره لان في سقوطه الوبال عليه ، ومن المعلوم أن الطفل اذا هز سريره لاينام في أول الامر الابعد ان يأخذه دوار وربما كان الهز يرعدد منه الرقبة ويلوي الرأس وفي كلا الامرين خطر عظيم عليه

---

( ١ ) الخصوف من النساء التي تلد ولاتدخل في العاشر ( ٢ ) جرت المرأة ولدها وجرت به وهو ان يجوز ولادها عن تسعة أشهر فيجاوزها باربعة ايام أوثلاثة فينضج ويتم في الرحم ( ٣ ) ظاءرت مظاءرة اذا اتخذت ظئرا ـ الظئر المرضعة غير ولدها ( ٤ ) الام تحجو ولدها أي تؤخر رضاعه عن مواقيته ويورث ذلك ولدها وهنا ( ٥ ) جدع الغلام يجدع جدعا ساء غذاؤه والحثل أيضا سوء الرضاع وقد احثله أمه أي اساءت غذاءه ( ٦ ) افلت المرضع ذهب لبنها ( ٧ ) حصأ الصبي من اللبن

تلفه والدته بلفائف من المرن لا تقمطه قمطا شديدا لئلا يلوى الساقين والقدمين والساعدين واليدين ولئلا يضغط ، تضعه في سرير ثابت وتضع عليه لحافا من المرن يمنعه من التحرك القوي

لا تتركه وحده ولا تقدم اليه ما يمتصه ليلتهي به عن الرضاع، يخرج من غرفته في كل يوم ثلاث مرات الى محل طيب الهواء نقيه، و بعد خروجه تفتح النوافذ ليبدل هواءها غير أنه يحترز عليه من البرد والحر ، لا تسلمه أمه الى أحد ولا تتخذ له مربية فان الوالدة أحن على الولد من غيرها وأشد انتباها اليه واحرص عليه

لا تقبله ولا يقبله أحد لئلا تنتقل الميكروبات في القبل الضارة ٠ لا يضحك تضحيكا شديدا لئلا تفتى نفسه (١) أو يغشى عليه بل يترك ليضحك حيما يشتهي ويريد ضحكا طبيعيا

لا تلاعبه أمه بخفضه ورفعه ولا تقبض يده بيدها وترفعه أو تجره ٠ لا تضغطه بضمه الى صدرها ولا تجعل ملامسته الا بقدر حسه لا بقدر حسها ٠ اذا لاعبته وانزعج أو كاد تركته حالا ليستريح ويرتاح (٢)

لا تطعمه الا بعد أن يسن (٣) وتقوى أضراسه وأنيابه مما فان الاسنان وحدها لا تستطيع طحن الطعام وتنعيمه فان أطعمته أصيب بعلة الاسنان المعروفة عندكم تقريبا ٠ و بعد الاسنان ونبات الاضراس وخروج الانياب تؤكله والدته أكلا خفيفا لطيفا لا يقاسي في مضغه تعبا لئلا يلمه ٠ لا تطعمه الا قليلا حيما ترى منه اشتهاء واقبالا على المطعم فاذا آنست منه قلة في الاشتهاء رفعت الطعام وأخفته

اذا أبصر شيئا ضارا ولو قليلا ورغب فيه منعته واجتهدت في تحويل فكره عنه ونقله الى غيره فينتقل ٠ لا يسمع أصواتا عالية مرتفعة على غرة مزعجة كانت أو غير مزعجة ولا تعرض عليه المتحركات السريعة الانتقال والتغير لئلا تزيد في

---

وحعي ٠ محصا رضع حتى امتلأ بطنه (١) غثت نفسه تغثي غثيا وغثيانا وغثيت تغثى جاشت وخبثت قال بعضهم هو تحلب الفم فربما كان من القيء وهو الغثيان (٢) ارتاح سر ونشط (٣) أي تنبت اسنانه

تحريك عينيه ولا يجد أحد نظره اليه ولا ينظره وهو قطوب عبوس ليسكته ويسكنه بالارهاب بل يسكن بالكلام الرقيق ويلهى بالمناغاة (١) اذا كان الصوت رخيما لانبرة فيه فانه يأنس بهما ويطيب خاطره . فاذا ربي هذه التربية فلا خوف عليه ان يقصع (٢) بل ينمو قويا صحيح الجسم والعقل . اذا أخذ في الكلام قومت أمه لسانه . اننا لانعرف الرتة (٣) واللثغة (٤) واللكنة (٥) والفأفأة (٦) والتمتمة (٧) والرأرأة (٨) والجلجة (٩) والخنخنة (١٠) والمقمقة (١١) والهتهتة والهتمة (١٢) والتعتعة والثعثعة (١٣) واللفف (١٤) والبيغ (١٥) ولا نعرف التبع (١٦)

---

(١) المناغاة تكليمك الصبي بما يهوى وناغت الأم صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة (٢) قصع الغلام ابطأ شبابه وغلام قصع أي بطيء الشباب (يعني حان وقت شبابه ولم يشب) وقصيع ومقصوع مثل قصع وقصع الغلام ضربه يبسط كفه على رأسه وقصع هامته كذلك قالوا والذي يفعل به ذلك لا يشب ولا يزداد وغلام مقصوع وقصيع كادي الشباب اذا كان قميئا لا يشب ولا يزداد وقد قصع قصاعة (٣) الرتة حبسة في اللسان ، والرتة حبسة في لسان الرجل وعجلة في كلامه (٤) اللثغة عقدة وعجز في الكلام . واللثغة ان يصير الراء لاما في كلامه (٥) واللكنة والحكلة عقدة في اللسان وعجز في الكلام والحكلة أيضا العجمة في الكلام (٦) الفأفأة ان يتردد في الفاء (٧) التمتمة ان يتردد في التاء (٨) الرأرأة ان يتردد في الراء تكلم أو قرأ (٩) الجلجة ان يكون فيه عي وادخال بعض الكلام في بعض (١٠) الخنخنة ان يتكلم من لدن انفه . ويقال هي ان لايبين الرجل كلامه فيخنخن في خياشيمه (١١) المقمقة ان يتكلم من أقصى حلقه (١٢) الهتهتة والهثهثة حكاية التواء اللسان عند الكلام (١٣) التعتعة والثعثعة أيضا حكاية صوت العي والالكن (١٤) اللفف ان يكون في اللسان ثقل وانعقاد (١٥) البيغ ان لايبين الكلام ، أو يرجع الكلام الى الياء . تأتأ تردد في التاء اذا تكلم والاسم التأتأة . العقلة اعتقال اللسان عن الكلام (١٦) التبع من يتبع بعض كلامه بعضا والسريع الكلام رجل طمطم سيء في لسانه عجمة

ان الواقعة مؤاخذة يبي وقدها وحصره وفهاهته فتنبه على كل كلمة غير فصيحة . كلامنا فصيح بليغ فكانا لسن (١) في بيان وتبيان (٢) اهـ

## ﴿ القواعد المنطقية ﴾

كتاب مطول في علم المنطق ألفه بالفرنسية ( الأب تونجورجي اليسوعي ) ونقله الى العربية ( الخوري جرجس فرج صفير الماروني ) متصرفا بعض التصرف في الترجمة كما قال في مقدمته . وقد تفضل باهداء الكتاب الينا مع رقيم يرغب الينا فيه بمطالعته وانتقاده فمرت علينا شهور نرقب فيها فرص الفراغ لذلك فلم يسنح منها شيء يكفي لمطالعته كله أو بعضه مطالعة نقد فرأينا والشواغل عن مطالعة مثله تزداد ان نجيل النظر فيه جولة عجل ونقرأ من بعض فصوله جملا تسمح لنا بأن نحكم عليه حكما اجماليا فرأينا ان الكتاب من أحسن ما ألف وأفيده وفيه من المباحث والفوائد ما لا يوجد في الكتب العربية المتداولة بين المشتغلين بهذا العلم وهو يخالفها في كثير من الاصطلاحات والتعريفات والتقسيم والترتيب وفي هذه المخالفة من الفائدة زلزال الجمود على الكتب المألوفة وتحريك الذهن في مسائل العلم وتعويده الجولان في المعاني وإطماعه في الاتيان بغير ما تلقاه من الكتب أو الاساتذين . ورأيت في الترجمة ضعفا يحول دون الفهم في بعض المواضع وغلطا واضحا في العبارة كقوله في ص ١٤٤ « لا يصح قولك إما انت جالس أو ماشي لعدم المساواة في التقسيم اذ قد يكون لا جالس ولا ماشي » وقوله في ص ٣١ « في الشق الأول فاما انه يعم الماهية » ومع هذا نقول ان الكتاب يفيد كل من يطالعه من أبناء العربية في هذا العلم ولعل المترجم الفاضل يعنى عند طبعه ثانية بتصحيح عبارته لتكون الفائدة منه تامة . هـذا وان ثمن النسخة من الكتاب ٣ فرنكات وهو يطلب من المطبعة المصرية بالاسكندرية

---

لا يفصح (١) اللسن جمع لسن ورجـل لسن اي فصيح بليغ (٢) قيل الفرق بين البيان والتبيان هو ان البيان عمل اللسان والتبيان عمل الجنان وقيل ان التبيان ابلغ من البيان لأن الزيادة في الحروف اعطته زيادة في المعنى

## « التقرير السنوي لمشيخة علماء الاسكندرية »

أرسلت الينا هذه المشيخة تقريرها عن سنة ١٣٢٣ الدراسية ولما نتمكن من مطالعته ولكننا أجلنا الطرف في بعض صفحاته فاذا به قد وقف عند قوله « واني لأرجو أن أقدم للعالم الاسلامي بعد أعوام قليلة من خيرة الشبان رجالا تفتخر بهم الأمة المصرية وتقوم بهم الحجة على الذين يزعمون أن التعليم الديني لا ينهض بالأمم ولا يصلح أن يشاد على دعائمه عرش المدنية ولا أن يضم تحت راياته مفاخر التقدم والارتقاء » اهـ فذكرني هذا القول بأمر كنت عنه ذاهلا. ذكرني بان من علماء مكة وأشرافها عالما يقيم الآن في بعض جزائر جاوه أرسل ولدا له ليطلب العلم في الاسكندرية لما قرأه في الصحف المصرية — ومنها المنار — من تفضيل الطلب فيها على الطلب في الازهر بالمراقبة والنظام والتدريج فلم يقبله الشيخ محمد شاكر واعتذر عن ذلك بعدم حفظه القرآن وهو عذر لا ينطبق على قانون الأزهر الذي تتبعه مشيخة الاسكندرية كسائر معاهد التعليم الديني في القطر وكل ما تفضل به مشيخة الاسكندرية الازهر هو انه يعفل من هذا القانون مالا يعفل فيه فهذا الشرط الذي زاده الشيخ محمد شاكر على القانون يقفل باب مشيخته في وجوه « العالم الاسلامي » لأن الذين يحفظون جميع القرآن في أكثر اقطار هذا العالم هم من العميان أو من العلماء الذين يحفظونه في الكبر ولا يرجى ان يرحل أحد منهم الى الاسكندرية لطلب العلم . ولما كان الازهر معهد العالم الاسلامي وعلم واضع قانونه أن أكثر أقطار هذا العالم لا يحفظون القرآن في الصغر لم يشترط في قبولهم بالازهر ان يكونوا من الحافظين بل لم يشترط في المبصر من أهل القطر المصري ان يكون حافظا للقرآن كله

فان كان الشيخ شاكر يحب ان يمتاز طلاب العلم عنده بحفظ القرآن كله فله ان يكلفهم ذلك في مدة الطلب وليس له ان يمنعهم من طلب علم الدين المفروض عليهم لانهم قصروا من قبل في حفظ جميع القرآن الذي لم يفرض على الاعيان، فهذا المنع من العلم لا يجيزه الشرع ولا القانون فيما نعلم ولا ينطبق على ارادة خدمة العالم الاسلامي بهذا التعليم الديني الا اذا أريد بالعالم الاسلامي مصر وكان

هذا الاصطلاح الخاص للذين أحدثوا في الاسلام نفسه وطنية لم ينزل الله بها من سلطان مستحسنا عند مثل الشيخ شاكر وقد يرجح هذا قوله في الرجال الذين يريد ان يخرجهم (للعالم الاسلامي) ينهضون به ويشيدون عرش المدنية على دعائمه «تفتخر بهم الامة المصرية» : ولكن هذه الوطنية المموهة بكلمات الدين والاسلام يتبرأ منها دين الاسلام، وتنكرها قوانين المدنية عند جميع الامم، فاما الوطنية المعروفة عند الامم التي قامت بالوطنية فهي عبارة عن اتحاد المقيمين في وطن واحد المختلفين في الملل والنحل على مايرقي شأنه ويزيد في عمرانه ، وهذه الوطنية لاتعارض الاسلام الذي جعل المؤمنين أخوة يتعاونون على البر والتقوى ويتعاطفون ويتراحمون كأنهم أعضاء جسد واحد وإن اختلفت أوطانهم وتناءت بلادهم

لاأطيل الكلام الآن في هذه المسألة ولكنني أتمنى لو يقبل الشيخ شاكر هذا الطالب المكي وغيره ممن عساه يقصد الى الطلب في الاسكندرية ، وأن لا يمزج دعوته الدينية ، بتلك النزعة الفكرية الوطنية ، والا فليجعل الدعوى على قدر الدعوة ان كانت مما لا بد منه ، ولكن لا [illegible] معقولا لعدم قبول غير المصريين أو الطالبين للعلم الديني في مشيخة الاسكندرية . وسنعود الى قراءة التقرير وكتابة مايبدو لنا في أمره انه نافع انشاء الله تعالى



## ﴿ البغاء — أو — خطر المهارة في القطر المصري ﴾

ألف الدكتور بورتقاليس بك كتابا باللغة الفرنسية الى سماه بهذا الاسم ونقلها اللغة العربية داود أفندى بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام . المؤلف طبيب أخصى في معالجة الامراض الجلدية والزهري ومايتعلق بذلك والكتاب صحي أدبي يفهمه كل قارىء وانا نرى خير تقريظ له ان ننشر نبذا منه لعل الذين تركوا الدين فوقعوا في الأدواء التي تنشأ من الزنا يعرفون الاخطار التي تساورهم في آحادهم وفي ذريتهم فيقل تهافتهم على هذه الفواحش المحرمة في كل دين، على انني أعتقد بأنه لاعلاج لهذه المصائب العمرانية والاجتماعية الا التربية الدينية وان من يزعم ان الاقتناع بضرر المعاصي وحده يعمل مايعمل الدين في الردع عنها فهو من الجاهلين كما بينا ذلك بعض البيان في مقالة ( التعليم الديني ) من هذا الجزء . قال المؤلف

## ١٦

## سبب المواصلة مع الغير المراقبات

ان العدوى تنتقل الى الرجال الذين يخالطون النساء غير المراقبات انتقالاً رائعاً لايماثله انتقالها اليهم من النساء الموضوعات تحت المراقبة

فالرجال على وجه عام والمتزوجون منهم على نوع خاص يخالطون العاهرات غير الموضوعات تحت المراقبة أكثر من مخالطتهم العاهرات اللاتي يفحصهن الاطباء وسبب ذلك ان الفريق الاول من العاهرات يظهر بغير مظهره أي يظهر النساء النزيهات اذ يقلن ان لهن أزواجاً وأولاداً وانهن انما يسلمن أنفسهن بعامل الحب والغرام والوجد والهيام وانهن لم يرتكبن هذا الخطاء الا في هذه المرة ثم يتمسن خدع الرجال بانهن يتوسلن اليهم بان لايبوحوا بسرهن الى آخر ماهنالك من ضروب الخداع والنفاق

فيصدق الرجال المخدوعون هذا الكلام ويعتقدون صحة مانقوله تلك العاهرات بل هم يفتخرون بالاختلاط بهن كأن الواحد منهم قد اكتشف كنزاً وملك أمراً عزيزاً

وبما أن تلك النساء العاهرات لايتشبن بأنفسهن كشواهن عن يحترفن حرفة البغاء علناً فهن بحكم الطبيعة أقرب الى العدوى وأقدر على نقلها الى كل من يقترب منهن وهم يظنون أنهم عشاق وانهم محبوبون معشوقون . وانما أصيب المخدوع وجاء يؤنب المرأة التي نقلت اليه العدوى جاءته بألف حيلة وخدعة وقلبت دماغه وكذبت حسه واظهرت طهارتها وتقاوتها فيصدق فما أضعف الرجل امام المرأة وما اصغر نفسه وأقل ادراكه وأخف عقله !!

## ٢٨

## مراقبة العاهرات

لاتوجد في القاهرة مراقبة البوليس ولا مراقبة الصحة فالعاهر حرة للطلخ بالاوساخ من أصابته وتنقض على الناس انقضاض الوحش المفترس ومن لم يصدق فليمر عند منتصف الليل بشارع كامل ولا سيما تحت القناطر

مع ان هذه العاهرات لو انهن ارتكبن في بلادهن ربع مايرتكبنه هنا من عاقبة

البوليس ومخالفة قانون الصحة قبض عليهن سريعاً فلا تسمع بهن شفاعة ولا يقبل رجاء ولا تنفع رشوة وبفضل ذلك كله لا تجسر واحدة على مخالفة القانون ومن هربت من الكشف الطبي وضعت تحت المراقبة الشديدة على نوع أخص فمع كل عاهر ورقة حمراء تقضي عليها بأن تأتي الى محل الكشف في كل أسبوع مرة وهي فوق ذلك موضوعة تحت المراقبة الشديدة فهذه التحوطات التي اسفرت عن نتائج حسنة جداً في أوروبا لا وجود لها في القاهرة

أما عاصية القانون فهي العاهر التي ترتكب الفجور خلسة واستراقاً ويعد من هذا النوع النساء المتزوجات اللاتي لهن أزواج وأولاد والفتيات اللاتي يعشن في احضان عائلاتهن والخياطات الفاسقات والفاعلات والمغنيات والراقصات والخادمات وكل من كان على شاكلتهن وارتضى الفجور والاستسلام للزنا والفسق وبيع العرض بالمال

فالحكومة لا تعرف هؤلاء ولا تراقبهن ولا تحمل منهن ورقة الكشف الطبي مع انهن لا يفرقن عن العاهرات والبغايا فارق غير ان العاهرات لا يسكن منزل العائلة ولا يكتمن أمرهن عن الجمهور وعن الحكومة ومصالح الصحة ويحملن الورقة الطبية التي تدل على احترافهن حرفة البغاء – اما تلك العاصيات فلهن منازل عائلية يعشن فيها ولا يحملن ورقة الصحة – أما من حيث احتراف البغاء والسعي وراء الرجال واستثارة ميالهم والتحكك بهم فهن والعاهرات سواء وانما قبض البوليس على واحدة منهن وهي متلبسة بالجناية أرسلها الى الطبيب ليكشف عليها



وقد قلت واردد واعيد الآن تكراراً ان النسوة غير الخاضعات لاحكام القانون هن أشد خطراً على الانسانية من سواهن ولا أخطىء اذا قلت ان جميعهن مصابات بالادواء الزهرية على اختلاف أنواعها وثلاثة أرباعهن في حالة من الاصابة شديدة الخطر على الرجال وشديدة العدوى لمن يختلط بهن

وهذه المرتبة من النساء هي أيضاً على نوعين نوع عال ونوع واطىء

وقد قبت مدام هنري تورو المرتبة الواطئة بمرتبة القملة في هيأة الحب وهي محتقرة مهانة مرذولة كثيرة الخطر لأنها تسلم نفسها لمن عثر عليها دون تردد ولا إمعان نظر

أما المرتبة العالية فهي مع أنها محتقرة مرذولة كالمرتبة الأولى الا أنها أقل خطراً لأنها لا تسلم نفسها الى من عثر عليها أو حاول التوصل اليها ولا تطوف الشوارع للبحث عن صيد يقع في شراكها ولكنها تربح المرات وتعيش عيشة الاغنياء وتشبها تتيل

في البارات ولا يزدحمن عليها على اثنين أو ثلاثة فلهذا لا تستطيع الواحدة منهن أن تبذر العدوى بين الجمهور اذا كانت مصابة بالامراض بل ان عدواها تقتصر أو تنحصر في محبيها ومحبو مثل هذه العاهرات هم الاغنياء وأصحاب الثروة والتدرج في القاهرة ان يكون لكل شاب غني خطيبة أو حبيبة حتى يكون ذلك الشاب معدوداً في مصاف المتمدنين وزمرة الظرفاء والظرفاء من الراقين والسامين

والواحدة منهن تقول معجبة بنفسها أنها لا تسمح لاحد بأن يدنو منها ويجامعها اذا لم يدفع لها ٤٠ أو ٥٠ جنيهاً فهن يحسبن لا تحسين قضية غلو السعر وارتفاع الاجرة لاحفظ العرض والعفة فمثل هذا الطلب لا يجيبه الا العدد القليل من الجمهور خلافاً لتلك البغيات بنات السوق والشارع فان الواحدة منهن تسلم لاي كان عرضها بما يكفي لدفع ثمن الخبز في يومها أو ثمن الشرب في ليلها

فاذا هن تمكن من الخلاص من يد البوليس دهراً طويلا فان أكثرهن يقع في قبضته لان الفقر قضى عليهن بأن يطفن الشوارع ويعرضن بهذا وذاك ويحرضن على الفسق والفجور كل مار وكل سائر فاذا نجون من يد البوليس مرة فانهن لا ينجون من يده كل مرة



٢٩

﴿ عدد المصابين في سنة واحدة ﴾

من أتم النظر قليلا في حال تلك العاهرات وكثرة عددهن وكثرة المصابات منهن بالامراض وعرف ان الواحدة منهن تسلم نفسها في كل ليلة لعدة رجال قد يكونون سليمين من الامراض والادواء عرف ان عدد الرجال الذين يصابون بامراض اعضاء التناسل عظيم هائل فاذا لم يصابوا يكون الفضل في ذلك للمراقبة الطبية والتحوطات الصحية التي تحتمل الانسانية من هوة بعيدة القرار وشر مستطير لا يعرف أحد لولا وقاية الطب ماذا يكون من ورائه على الانسانية كلها.

فلهذا أرى انه لابد من مراقبة العاهرات في القاهرة ولا أسلم قط بأن هذه المراقبة غير ضرورية بل لا يمكني أن اقتنع وأسلم بأن الخطر مع الحالة الحاضرة ليس شديداً على الانسانية وليس مهدداً البلاد كلها

واذا ماخطر لي التأمل باهمال المراقبة هالني وجزعت لعلمي ماوراء ذلك من الخطر والمصاب الجليل والضربة الشديدة

يؤخذ من احصاء مدينة باريز عن ان متوسط عدد النساء اللائي قبض عليهن وهن مصابات بالادواء هو ١١ امرأة في اليوم من غير الخاضعات للمراقبة الطبية فاذا حسبت هذا على دورة العام كان عدد المصابات ٣٦٠٠ مصابة أو ٤٠٠٠ مصابة قد أخرجتهن حكومة باريز من وسط الجمهور وحجرت عليهن وعزلتهن الى أن يتم شفاؤهن فاذا مكثن على معاطاة حرفتهن وتقلن العدوى الى شخص واحد في كل يوم كان عدد الذين يصابون منهن في كل عام مليوناً و ٦٤٠ ألف رجل

فلماذا لاتكنس شوارع مصر كما تكنس شوارع باريس من هذه العاهرات ولماذا لاتعزل النساء الوطنيات ولاتطرد من البلاد النساء الاجنبيات المريضات

بل لماذا لاتطهر شوارع المدن والحواضر من هذه المستودعات المخزونة فيها الامراض والاوصاب وفساد العائلات والاجساد والسلالة

سؤال أردده في نفسي ولا أجد عليه جواباً ولكن أعرف أن آلافاً من النفوس تضيع الآن ضحية الاهمال وليس من يزع الشر أو يرد المصيبة



﴿ جناية أوربا على [illegible] وعلى العالم ﴾

اهدي الينا هذا الكتاب أو القصة منذ أشهر فاستكبرنا الاسم ومابعده من الوصف وهو « كتاب صحي عصري أدبي اجتماعي عمومي نسائي روائي » وفهمنا من كلمة « روائي » أنه يبين فيه مافي هذه القصص التي تسمى روايات من الجناية على الآداب كما فهمنا من كل كلمة قبلها نحو ذلك وعزمنا على مطالعة الكتاب قبل الكتابة عنه فاذا هو قصة وضعية في بيان ضرر استعمال « المشد » الحديدي الذي يضغط به النساء أحشاء هن . وقد أحسن واضع القصة أحمد أفندي فهمي فيما كتب لجاء بالنزاهة والادب في الغراميات وأحسن في التنفير من المشد وكان كلامه مؤثراً يستميل القاريء . ولكن الاسم أكبر من المسمى . والقصة مطبوعة طبعاً حسناً وهي تطلب من مكتبة المعارف بالفجالة فنحث القارئات قبل القارئين على مطالعتها

﴿ قاطع الحبل ﴾

قصة من قصص « مسامرات الشعب » صدر منها جزءان وهي مما اختاره الترجمة نقولا أفندي رزق الله المعروف بأدبه وحسن ذوقه في الاختيار

## ﴿ الريحانة ﴾

« مجلة تاريخية أدبية قصصية تصدر في منتصف كل شهر عربي لصاحبتها جميلة حافظ » صدر الجزء الأول منها في ١٥ المحرم وقد جاء في فاتحته ما يأتي

« أفتتح مجلتي الريحانة باسم الله الذي خلق الرجل والمرأة من أصل واحد ووهبهما عقلا جوهره واحد وسوّى بينهما في الحقوق فقال ( ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ) وأسأله تعالى أن يوفقني الى القيام بما عهدته الى نفسي خير قيام

« أمنيتي الوحيدة أن تكون لحياتي ثمرة وغاية شريفتان في الوجود لأن تكون حياة خمول وكسل تنقضي بلا ثمرة ، وجودها عدم وعدمها خير » الخ

هـذه الكلمة من الكلم الطيب لايتدبرها عاقل ويأخذ على نفسه الميثاق ليعلمن بها الا كانت حياته مباركة طيبة وكان هو بها أسعد منه بكل ما ملك من عرض الدنيا . هذه الكلمة ترفع من ترتبت فيه نزعته الى مراتب الكمال وتكون خير مرب لمن قصر في تربيته الوالدون والمعلمون ، وما كثر الذين يقدرونها قدرها في أمة من الامم الا ارتقى شأنها وصلحت حالها وكانت من أسعد الامم لا يفضلها الا الامة التي تسبقها الى العمل بالكلمة . واني لأرجو أن تكون هذه المجلة من أنفع المجلات برعاية منشئها لكلمتها وعنايتها بالعمل بها . ولنا أن نعد من آيات هـذه العناية قولها في الجزء الثاني « رأيت أن أساعد مشروع الجامعة بكل ما في وسعي فأنا من الآن أتبرع لها سنويا بكل ما يزيد عن مصروف المجلة من جنيه الى مئة وما زاد عن المئة فيصرف في ترقية المجلة بزيادة عدد صفحاتها واصدارها مرتين في الشهر بدون زيادة في قيمة الاشتراك . وهذا التبرع يبقى ان شاء الله ما بقيت المجلة وبقي لها مشتركون »

إننا لنشم من هذا القول عبير الاخلاص والصدق ولكن رجاءنا في تحقق امنية الكاتبة المخلصة ضعيف لأنها جعلت قيمة الاشتراك ثلاثين قرشا وهي تكاد لا تكفي لنفقات المجلة على ما نعهد من قلة القارئات والقارئين وكثرة مطل المشتركين ، الا أن تصادف المجلة من يقدر نية منشئها حق قدرها ، ويتصدون لمساعدتها على أمرها ، واننا ننصح لها بأن تزيد في قيمة الاشتراك الآن فإن أهل الوفاء لا يثقل

على الواحد منهم دفع عشرة قروش أوعشرين قرشا في السنة، وأهل المطل يثقل عليهم اداء القرش الواحد فان لم تقبل نصيحتنا الآن فستقبلها في يوم من الزمان

## ﴿ الجامعة الاسبوعية ﴾

ارتحل فرح أفندي انطون صاحب مجلة الجامعة الشهيرة الى نيويورك وجعلها مقرا له ومصدرا للجامعة ثم اشترك مع رشيد أفندي سمان وهو من التجار الميالين الى السياسة في اصدار جريدة يومية باسم الجامعة واختارا ان يجمعا من الجامعة اليومية أفضل مقالاتها وأخبارها كل اسبوع في نسخة اسبوعية ذات ثمان صفحات وقد وافانا عدة نسخ من الجامعة الاسبوعية فاذا هي من أحسن الجرائد العربية تحريرا وأغزرها فائدة وقيمة الاشتراك فيها عشرون فرنكا

## باب الاخبار والآراء

## ﴿ استقالة اللورد كرومر وتقريره ﴾

ما كاد اللورد كرومر يتم تقريره السنوي عن مصر والسودان حتى عرض له في معدته مرض شديد حتى اضطر [illegible] بالحقن وحتى لم يستطع الحفاوة بأخي ملك الانكليز الذي زار مصر في هذه الايام كما يجب وحتم عليه الاطباء الاستقالة من منصبه وترك الاعمال العقلية بتة فكتب الى حكومته بذلك فراجعته عسى أن يثني عزمه فلم يفعل فقبلت استقالته مع إظهار الاسف العظيم على اضطراره الى ترك الخدمة والثناء العاطر عليه الذي شارك الحكومة فيه جميع أحزاب الامة · وقد صرحت الحكومة تصريحا رسميا بأن مستر غورست سيسير في مصر على طريقته وتعمل بما أرشد اليه في تقريره الاخير . وهذا التقرير هو أشد التقارير وطأة على الوطنيين لاسيما الذين يعرفون بالحزب الوطني من حيث ما يراد فيه من تغيير نظام الجنسية المصرية ومحاولة اقناع دول أوربا بترك الامتيازات والاستغناء عنها بمجلس تشريع وطني معظم اعضائه من رعايا هذه الدول و باقيهم من الوطنيين

ومما نقل عن التقرير فكان شديد الوقع على نفوس المسلمين كلام في الشريعة الاسلامية فحواه أنها لا تصلح لهذا الزمان وكلام فيما يسمونه الجامعة الاسلامية

وكلام عن المستر دلوب في اللغة العربية وانا ننتظر صدور نسخة التقرير العربية لنقرأها ونبين ما هو الحق في الشريعة ومعنى كونها خاتمة الشرائع الالهية

أما اللورد نفسه فهو بما عمل في مصر، يعد من أعظم السياسيين في هذا العصر، وقد اعترف له الوطنيون مع الاجانب بالنزاهة التامة وترقية مالية البلاد وتكثير مواردها واحترام استقلال القضاء والحرية الشخصية فيها وناهيك بحرية المطبوعات، ويشكو منه الوطنيون أنه لم يرق المعارف ولم يزد مصر الا بعدا عن الاستقلال . ويقولون ان نجاحه الذي ظهرت به عظمته يقوم على ثلاثة أركان — مزاياه الشخصية وثقة حكومته به ومساعدتها اياه في كل مايطلب — وطول الزمن الذي صرفه في مصر. ونقول كما رأينا وهو طبيعة مصر وأهلها فمصر تواتي كل حاكم قوي وتخضع لارادته في كل ما يريد منها ولولا استعداد القابل لما ظهر استعداد الفاعل والحكيم من يراعي في عمله الاستعداد الطبيعي فيما يعمل فيه. ولو وجد في امرائها رجل كاللورد كرومر لعمل فيها خيرا مما عمل اللورد لأن أميرها كان يراعي مصلحتها من كل وجه خالصة لها واللورد كان ينظر الى مصلحة دولته اولاً والى مصلحة مصر ومصالح دول أوربا ثانيا . وقد اهتزت مصر وأوربا لاستقالته وخاف الماليون على أموالهم والأحرار على حريتهم من بعده واستحسن بعض النزلاء والوطنيين أن يعمل له تذكار في مصر. وكانت جريدة المؤيد و« الجريدة » أكثر الجرائد المصرية اعتدالاً في الكتابة عنه

وأفضل ما استفادت مصر في هذه المدة — مدة اللورد كرومر أو الاحتلال استيقاظ الشعور بوجوب الاستقلال الذاتي أو الاعتماد على النفس في الرقي . استيقظ هذا الشعور في بعض النفوس ولولا ان أكثر الجرائد شغلت الامة عنه بالاماني والاوهام لانتشر انتشارا عظيما، ولجاء بالاصلاح المبين

شغلت الأمة عن نفسها بمقاومة الاحتلال ولكن بالأماني والغرور، وبالطعن في الحكومة لأنها تواتي الاحتلال، وبمطالبة الحكومة مع ذلك بكل ما يرقيها ويرفع شأنها، بذلك نسيت نفسها فلم تتعاون على الاعمال الاستقلالية ولم يوجد فيها معاهد التربية الملية والتعليم الذي يقصد به الرفعة والكمال من غير طريق الحكومة. بل لم يوجد فيها عون ولا نصير لذلك الأب البر الرحيم (الاستاذ الامام رحمه الله)

الذي أراد أن ينتهز هذه الفرصة لاصلاح الازهر على عمله هذا ولكنه وجد بعض الاعوان على النهوض بجمعية خيرية اسلامية فنهض بها ·

هذا وقد ابتدأت الامة تشتغل نفسها عن نفسها بما يوهمها الموهمون من سياسة خلف اللورد كرومر وهو انها ستكون مرقية الشؤون المعنوية كارتقاء اللورد كرومر الشؤون المادية · وانا ننصح لها بأن لا يشغلها عن استعدادها الذاتي شاغل وان تعلم ان من لا يرقي نفسه لا يرقيه غيره وأن أفضل ما يمكن ان تستفيده من الانكليز هو تمكينها من ترقية نفسها بالتربية والتعليم الذي تقوم به وهي بثروتها قادرة عليه وما بينها وبينه الا أن تتوجه بتوفيق الله تعالى اليه

ويظن أن الامير سيكون أشد مواتاة للسير ألدون غورست خلف اللورد كرومر على علمه بعصرمته لسلفه وان السير يكون أكثر تساهلا من اللورد مع الماليين فيما يشتون من الشركات ويعمرون من أرض الحكومة ولا يظن انه يكون أوسع منه صدراً لمشاغبات الصحف وأقرب مودة للعربية وجملة القول ان السياسة الانكليزية لا تتغير في مصر بذهاب انكليزي ومجيء انكليزي



( باب الانتقاد على المنار )

كتب الينا أحمد أفندي الالفي ينتقد علينا امورا اجابة لدعوة المنار الى الانتقاد عليه ولكن ما انتقده آراء في تحرير المجلة وادارتها وكتابة التفسير وهو على ما فيه من الفائدة لنا ليس مما ندعو اليه انما ندعو الى انتقاد ما يراه أهل العلم في المنار باطلا وبيان ذلك بالدليل ولعل منه قوله : مقالا لك في الجريدة حتى أخذت « بالفال » ووضعت المجلة موضع المشيع للجريدة : وظنه اني اشتغلت عن المنار بالتحرير فيها

وهكذا رأيت كثيرا من الناس ينسبون الي أكثر ما يكتب في ( الجريدة ) ويظنون انني من محرريها والحق انني ساعدتها بعدة مقالات في أوائل ظهورها واني أحسن الظن بها واذا كتبت فيها فانما اكتب في موضوع ادبي أو اجتماعي لا في سياسة مصر ولا اكتب عن لسانها · واما العناية بتقريظها فسببه هضم الناس لها بغير حق وكونها تنفيذاً لرأي الاستاذ الامام وان لم تكن كما كان يريد من كل وجه · «والفال» ذكر فكاهة على أن النبي (ص) كان يعجبه الفأل الحسن